التراث الأرثوذكسي

ISSN 1814-7038

السنة الثامنة عشرة، العدد التاسع، حزيران ٢٠٢٢

مختارات آبائية\ حياة روحية

القديس يوستينوس بوبوفيتش، لا يستطيع الشيطان إرغام أحد على الخطيئة

القديس نيقولا فيليميروفيتش، حِدْ عن الشر، واصنعْ الخير

القديس فيلاريت درودزوف موسكو، التعليم الديني المطوّل – ٤

الشيخ يوسف الفاتوبيذي، هدف الحياة وغايتها

رعائيات / حياة روحية

المتروبوليت أثناسيوس ليماسول، علينا الذهاب إلى القداس الإلهي

المتقدم في الكهنة لورنس فايرلي، القيَم التقليدية للعائلة

الأرشمندريت ثيوفيلوس ليمونتزيس، الصراحة تمقت الادّعاء

لاهوت

جان كلود لارشيه، التألّه كالمشروع المسيحي والنموذج لما بعد الإنسانية الحقيقية

مسكونيات

من الكنيسة الروسية خارج روسيا، تعليق حول ذكر الأسماء على الذبيحة

لا يستطيع الشيطان إرغام أحد على الخطيئة

القديس يوستينوس بوبوفيتش

نقلتها إلى العربية أسرة التراث الأرثوذكسي

ما هي الانتصارات البشرية؟ لا شيء. إن لم يهزموا الموت، فكل الانتصارات البشرية هي هزائم. ما هي كل الانتصارات التي حققها ولا يزال يحققها الكثير من الملوك والحكام في هذا العالم؟ ما هي الحروب الأوروبية: الأولى، الثانية، الثالثة، العاشرة، الخمسون؟ ما هي؟ إنها هزائم - هزيمة تلو الأخرى. هي بالتأكيد ليست انتصارات. الناس يقتلون بعضهم البعض. لقد لجأوا إلى الحرب والقتل كوسيلة لهزيمة الشر في هذا العالم.

فقط الله وقوة الله قادران على هزيمة الشر في هذا العالم. وحده الله وقوة الله قادران على هزيمة خالق كل شر وكل خطيئة: الشيطان. أعطى الله هذه القوى الإلهية لكل واحد منا حتى نتمكن نحن أيضاً، ككائنات بشرية عقلانية، من هزيمة الشر؛ هزيمة الشيطان بقوة الله.

كيف؟ انتبهوا، هاكم فترة الصوم المباركة. لدينا صلوات مقدّسة. ما هي؟ إنها القوى الإلهية التي تركها لنا الرب وأعطاها لكنيسته ، حتى نتمكن - كل واحد منا - من هزيمة الشيطان من خلال نسب النصر لأنفسنا، بالانتصار لمصلحتنا الخاصة. فلنتغلب على الخطيئة، لا من أجل الآخرين، بل من أجلنا نحن.

لأنه يجب أن تعلم أن كل واحدة من خطاياك هي محارِب عند الشيطان. كل خطيئة تحبها وتحتفظ بها في داخلك -علانية أو سراً، لا فرق- هي حربة الشيطان. إنها سلاح رهيب منيع. بالطبع هو سلاح لا يُقهر طالما أنك لا تتجنّبه، وطالما أنك لا تشعر بأن الخطيئة التي ترتكبها في الواقع تقتلك؛ إنه يجعلك تنتحر مهما كانت هذه الخطيئة. الكراهية، على سبيل المثال، تجعلك انتحارياً. الغضب وقسوة القلب وحب المال... هذه الأشياء كلها أسلحة: إنها أسلحة الشيطان الرهيبة التي يضعها بين يديك لتشرعَ في قتل نفسك.

لا يستطيع الشيطان إجبار أحد منا على الإثم. يمكنه فقط أن يقترح الخطيئة. يمكنه فقط أن يعرض عليك السيف لتقتل نفسك، لكنه لا يستطيع قتلك. لا يعطيه الله هذه القوة. أما إذا قبلت هذا السيف من الشيطان - أي إذا استسلمت للبخل أو الغضب أو الغيرة أو الخداع أو الافتراء أو السرقة أو غير ذلك، فنعم! ستكون قد أخذت السيف في يديك وغرزته في قلبك بنفسك. ليس للشيطان سلطان على الإطلاق أن يجبر الإنسان على الخطيئة. لديه فقط القوة لإغواء الإنسان لارتكاب الخطيئة. يقترح عليك أن تأثم لنفسك وَلِي. وماذا نفعل كلانا؟ أنا وأنت إما أن نقبل الخطيئة أو نتجنبها. هذا يعني أننا إما أن نقتل أنفسنا بتغريب نفوسنا عن الله، أو يمكننا، بنبذ الخطيئة، أن نتقدّم بسرعة نحو قيامة يسوع المسيح، نحو النصر، النصر النهائي والحاسم على الخطيئة، وعلى الموت وعلى الشيطان.

لهذا، أيها الإخوة الأعزاء، جاء الرب إلى هذا العالم. لهذا ترك لنا كل شيء. لذلك ترك لنا سلاح الصوم والصلاة: حتى نتمكن من هزيمة الشيطان الذي هو خالق الخطيئة والموت. ماذا تفعل كل خطيئة بي وبكَ؟ إنها تُظلِمنا. الخطيئة ظلمة. إنها تنفث الظلام من داخلها، والظلمة تغمر نفسك ونفسي، كما تغمر ضمائرنا وحواسنا أيضاً. ثم

نصبح نحن غير مدركين لما نقوم به كما لو أننا في حالة ذهول وهذيان وسط ذلك الظلام. هذه هي ماهية الخطيئة: كل خطيئة تجعل روحنا في حالة خَدَران.

لكن هذا هو بالضبط سبب مجيء ربنا إلى هذا العالم: ليمنحنا النور، ليعطينا الشعلة المضاءة، ويمنحنا الإنارة التي ستطرد ذلك الظلام. وهذا هو الصيام المبارك: ضوء غامر ينير طريق حياتنا. الصوم هو قنوات الإضاءة الإلهية من السماء إلى نفوسنا - شرط أن يكون بالطبع صوماً حقيقياً يقتضي الامتناع عن كل أنواع الشر، والتعفف عند تناول الطعام، ولكن أيضًا الامتناع عن كل شر وخطيئة أخرى.

Source: Άγιος Ιουστίνος Πόποβιτς. Ο διάβολος δεν μπορεί να αναγκάσει κανέναν από μας να αμαρτήσει. Με Παρρησια. 21 Ιουνίου 2019. http://imverias.blogspot.com/2019/06/blog-post_21.html

حِدْ عن الشر، واصنعْ الخير

القديس نيقولا فيليميروفيتش

نقلتها إلى العربية أسرة التراث الأرثوذكسي

"حد عن الشر، واصنع الخير" (مزمور ٣٤:١٥).

تتضمّن هذه الكلمات كل الجهود التي يجب أن نبذلها هنا في العالم، على الأرض، بجسدنا الأرضي الطبيعي. ما المعنى الذي يحمله عملنا وماذا يجب أن يكون هدفه؟ اكتساب عادتَين: أولاً، تجنّب الشر؛ وثانياً، فعل الخير. يخبرنا ضميرُنا ما هو الخير وما هو الشر، ولكن جزئياً فقط وليس بوضوح، لأن الخطيئة تُظلِمه. من ناحية أخرى، في ما يتعلق بما هو صلاح وما هو شرّ، فإن تعليم المسيح يتحدّث إلينا بشكل كامل وواضح.

إخوتي وأخواتي: ما الذي يريده المسيح منّا؟

إنه يطلب التالي: كما أن اتّجاه هيكل كنائسنا هو دائماً إلى الشرق، فمثله تماماً يجب أن تتطلع أرواحنا دائماً إلى الخير. يجب أن نترك الشرّ وراءنا في الظلال؛ يجب أن نترك الشر في هاوية النسيان؛ يجب أن نترك الشر في ظلام الماضي. يجب أن نصل إلى الخير؛ يجب أن نفكّر في الخير؛ يجب أن نتوق للخير. يجب أن نتحدّث عن الخير؛ وعلينا أن نفعل ما هو خير.

يريد المسيح بنّائين لا مخرّبين. إذا بَنَيتَ ما هو جيد فإنك، في نفس الوقت ومن خلال نفس الإجراء، تدمر ما هو سيء. ومع ذلك، إذا شرعتَ في تدمير ما هو سيء، فسوف تنسى قريباً كيفية بناء الخير وستصبح فاعل شرّ. يعلّمنا رسول المسيح: "كُونُوا كَارِهِينَ الشَّرَّ، مُلْتَصِقِينَ بِالْخَيْرِ." (رومية ١٢:٩)ـ أكرهوا الشر، ولكن ليس مَن يفعل الشر، لأنهم ليسوا على ما يرام. إذا استطعت، إشفِ هؤلاء المرضى، لكن لا تقتلْهم بكراهيتك. تشبث بالخير وبه وحده، لأن الخير ينبع من الله وهو فُلك كل شيء صالح.

أيها الربّ الطيّب والرحيم، علّمنا أن نتجنّب الشر ونفعل الخير، لمجدك وخلاصنا. لأنه يليق بك كل تمجيد وعبادة إلى الدهور. آمين.

Saint Nicholas Velimirovich. 'Spurn evil and do good'. Pemptousia. 21 June 2022. /https://pemptousia.com/2022/06/ spurn-evil-and-do-good-ps-33-15

التعليم الديني المطوّل – ٤
لكنيسة الله الشرقية الأرثوذكسية الجامعة
المعروف أيضاً بتعليم القديس فيلاريت درودزوف موسكو
نقلتها إلى العربية أسرة التراث الأرثوذكسي

هذا التعليم راجعه وأقرّه المجمع المقدس (الروسي) ونشره ليتمّ استعماله للتعليم في المدارس كما ولكل المسيحيين الأرثوذكسيين (موسكو، المطبعة المجمعية، ١٨٣٠)

في البند الأول.

٧٦. ما هو الإيمان بالله؟

الإيمان بالله هو أن إيمانك الحيّ بكيانه وصفاته وأعماله؛ وقبول كلمته المعلنة عن خلاص البشر من كل قلبك.

٧٧. هل يمكنك أن تُظهر من الكتاب المقدس أن الإيمان بالله يجب أن يقوم على هذا؟

يكتب الرسول بولس: "لِكِنْ بِدُونِ إِيمَانٍ لاَ يُمْكِنُ إِرْضَاؤُهُ، لأَنَّهُ يَجِبُ أَنَّ الَّذِي يَأْتِي إِلَى اللهِ يُؤْمِنُ بِأَنَّهُ مَوْجُودٌ، وَأَنَّهُ يُجَازِي الَّذِينَ يَطْلُبُونَهُ"(عبرانيين ١١:٦).

نفس الرسول يعبّر عن تأثير الإيمان على المسيحيين في الصلاة التالية من أجلهم إلى الله: "لِكَيْ يُعْطِيَكُمْ بِحَسَبِ غِنَى مَجْدِهِ، أَنْ تَتَأَيَّدُوا بِالْقُوَّةِ بِرُوحِهِ فِي الإِنْسَانِ الْبَاطِنِ، لِيَحِلَّ الْمَسِيحُ بِالإِيمَانِ فِي قُلُوبِكُمْ"(أفسس ٣:١٦-١٧).

٧٨. ماذا ينبغي أن يكون التأثير الفوري والمستمر للإيمان القلبي بالله؟

الاعتراف بنفس الإيمان.

٧٩. ما هو اعتراف الايمان؟

أن نعترف علناً بأننا نتمسّك بالإيمان الأرثوذكسي، بإخلاص وحزم بحيث أن لا الإغراءات ولا التهديدات ولا التعذيب ولا الموت نفسه تجعلنا ننكر إيماننا بالإله الحقيقي أو بربنا يسوع المسيح.

٨٠. أين يكون الإعتراف بالإيمان ضرورياً؟

يشهد الرسول بولس أنه ضروري للخلاص. "لأَنَّ الْقَلْبَ يُؤْمَنُ بِهِ لِلْبِرِّ، وَالْفَمَ يُعْتَرَفُ بِهِ لِلْخَلاَصِ." (رومية١٠:١٠).

٨١. لماذا الإيمان ليس الأمر الوحيد الضروري الخلاص، بل أيضاً الاعتراف بالإيمان الأرثوذكسي؟

لأنه إذا امتنع أي شخص عن الاعتراف بالإيمان الأرثوذكسي، حفاظًا على حياته الزمنية أو خيراته الأرضية، فإنه يُظهِر أن ليس لديه إيمان حقيقي بالله المخلّص وبحياة السعادة الآتية.

٨٢. لماذا لم يَرِد في قانون الإيمان ببساطة "أنا أؤمن بالله" من دون إضافة "بإله واحد"؟

من أجل مناقضة خطأ الوثنيين، الذين أخذوا المخلوق على أنه الله، واعتقدوا بوجود العديد من الآلهة.

٨٣. ماذا يعلّمنا الكتاب المقدس عن وحدة الله؟

إن كلمات قانون الإيمان حول هذه النقطة مأخوذة من المقطع التالي للرسول بولس: "لَيْسَ إِلـهٌ آخَـرُ إِلاَّ وَاحِـدًا. لأَنَّهُ وَإِنْ وُجِدَ مَا يُسَمَّى آلِهَةً، سِوَاءٌ كَانَ فِي السَّمَاءِ أَوْ عَلَى الأَرْضِ، كَمَا يُوجَدُ آلِهَةٌ كَثِيرُونَ وَأَرْبَابٌ كَثِيرُونَ. لكِنْ لَنَا إِلهٌ وَاحِدٌ: الآبُ الَّذِي مِنْهُ جَمِيعُ الأَشْيَاءِ، وَنَحْنُ لَهُ. وَرَبٌّ وَاحِدٌ: يَسُوعُ الْمَسِيحُ، الَّذِي بِهِ جَمِيعُ الأَشْيَاءِ، وَنَحْنُ بِهِ." (١ كورنثوس ٨:٤-٦)

٨٤. هل يمكننا معرفة جوهر الله؟

لا. إنه فوق كل معرفة، ليس معرفة البشر وحسب، بل أيضاً الملائكة.

٨٥. كيف يتكلم الكتاب المقدس عن هذه النقطة؟

يقول الرسول بولس: "الَّذِي وَحْدَهُ لَهُ عَدَمُ الْمَوْتِ، سَاكِنًا فِي نُورٍ لاَ يُدْنَى مِنْهُ، الَّذِي لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ وَلاَ يَقْدِرُ أَنْ يَرَاهُ" (١تيموثاوس ٦:١٦).

٨٦. ما هي الفكرة التي يمكن استنتاجها من الوحي الإلهي عن جوهر الله وصفاته الأساسية؟

أن الله روح، أبديّ، كليّ الصلاح، كليّ المعرفة، عادل، قدير، كليّ الوجود، غير قابل للتغيّر، كافٍ لنفسه، كليّ البركة.

٨٧. أظهر كل هذا من الكتاب المقدس.

قال يسوع المسيح نفسه أن الله روح. (يوحنا ٤:٢٤)

عن خلود الله يقول داود: "من قبل أن تولد الجبال، أو أبدأت الأرض والمسكونة، منذ الأزل إلى الأبد أنت الله" (مزمور ٩٠:٢). في رؤيا يوحنا نقرأ التمجيد التالي لله: " قُدُّوسٌ، قُدُّوسٌ، قُدُّوسٌ، الرَّبُّ الإِلهُ الْقَادِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، الَّذِي كَانَ وَالْكَائِنُ وَالَّذِي يَأْتِي" (رؤيا ٤:٨). يقول الرسول بولس أن الإنجيل ظهر حسب وصية الله الأزلي (أنظر رومية ١٦:٢٦). عن صلاح الله قال يسوع المسيح نفسه: "لَيْسَ أَحَدٌ صَالِحًا إِلاَّ وَاحِدٌ وَهُوَ اللهُ." (متى ١٩:١٧). يقول الرسول يوحنا: "الله محبة" (١يوحنا ٤:١٦). يرنّم داود: " اَلرَّبُّ حَنَّانٌ وَرَحِيمٌ، طَوِيلُ الرُّوحِ وَكَثِيرُ الرَّحْمَةِ. الرَّبُّ صَالِحٌ لِلْكُلِّ، وَمَرَاحِمُهُ عَلَى كُلِّ أَعْمَالِهِ." (مزمور ١٤٥:٨-٩).

يقول الرسول يوحنا عن علم الله الكليّ: " اللهُ أَعْظَمُ مِنْ قُلُوبِنَا، وَيَعْلَمُ كُلَّ شَيْءٍ". (١ يوحنا ٣:٢٠). يهتف الرسول بولس: "يَا لَعُمْقِ غِنَى اللهِ وَحِكْمَتِهِ وَعِلْمِهِ! مَا أَبْعَدَ أَحْكَامَهُ عَنِ الْفَحْصِ وَطُرُقَهُ عَنِ الاسْتِقْصَاءِ!" (رومية ١١:٣٣).

عن عدل الله يرنّم داود: "لأن الرب عادل ويحب العدل. المستقيم يبصر وجهه" (مزمور ١١:٨). يقول الرسول بولس أن الله " سَيُجَازِي كُلَّ وَاحِدٍ حَسَبَ أَعْمَالِهِ.. لأَنْ لَيْسَ عِنْدَ اللهِ مُحَابَاةٌ." (رومية ٢:٦و١١).

عن قدرة الله الفائقة يقول المرتل: "لأنه قال فكان. هو أمر فصار" (مزمور ٣٣:٩). يقول رئيس الملائكة في الإنجيل: "لَيْسَ شَيْءٌ غَيْرَ مُمْكِنٍ لَدَى اللهِ" (لوقا ١:٣٧)..

يصف داود الوجودَ الكليَّ لله بهذا الكلام: "عجيبة هذه المعرفة، فوقي ارتفعت، لا أستطيعه. أين أذهب من روحك؟ ومن وجهك أين أهرب؟ إن صعدت إلى السماوات فأنت هناك، وإن فرشت في الهاوية فها أنت. إن

أخذت جناحي الصبح، وسكنت في أقاصي البحر فهناك أيضا تهديني يدك وتمسكني يمين. فقلت: إنما الظلمة تغشاني. فالليل يضيء حولي" (مزمور ١٣٩:٦-١١).

يقول الرسول يعقوب أن الله أَبِا الأَنْوَارِ " لَيْسَ عِنْدَهُ تَغْيِيرٌ وَلاَ ظِلُّ دَوَرَانٍ" (يعقوب ١٧:١).

يكتب الرسول بولس أن الله "لاَ يُخْدَمُ بِأَيَادِي النَّاسِ كَأَنَّهُ مُحْتَاجٌ إِلَى شَيْءٍ، إِذْ هُوَ يُعْطِي الْجَمِيعَ حَيَاةً وَنَفْسًا وَكُلَّ شَيْءٍ." (أعمال ١٧:٢٥). نفس الرسول يدعو الله " مَلِكُ الْمُلُوكِ وَرَبُّ الأَرْبَابِ" (١ تيموثاوس ٦:١٥).

٨٨. إذا كان الله روحاً، فكيف يصف الكتاب المقدس أجزاءً من الجسد مثل القلب والعينين والأذنين واليدين؟

في هذا الكتاب المقدس يلائم نفسَه مع لغة الناس المشتركة؛ لكن علينا أن نفهم مثل هذه التعبيرات بالمعنى السامي الروحي. على سبيل المثال، قلب الله يعني صلاحه أو محبته. العيون والآذان تعني كل المعرفة؛ يداه تعني قوته العظيمة.

٨٩. إذا كان الله في كل مكان، فكيف يقول الناس أن الله في السماء أو في الكنيسة؟

الله موجود في كل مكان؛ ولكن في السماء له حضور خاص يظهر في المجد الأزلي للأرواح المباركة. وله أيضاً في الكنائس، بالنعمة والأسرار، حضور خاص يعرفه المؤمنون الأتقياء ويشعرون به، وهو يتجلّى أحياناً بعلامات غير عادية. يقول يسوع المسيح: عندما يجتمع اثنان أو ثلاثة باسمي، أكون في وسطهم. (متى ١٨:٢٠).

٩٠. كيف نفهم كلمات قانون الإيمان هذه: أؤمن بإله واحد آب؟

تُفهم هذه بالرجوع إلى سر الثالوث الأقدس. لأن الله واحد في الجوهر ولكنه ثلاثي في الأشخاص: الآب والابن والروح القدس، ثالوث واحد متساوٍ في الجوهر وغير منقسم.

٩١. كيف يتحدث الكتاب المقدس عن الثالوث الأقدس؟

النصوص الرئيسية حول هذه النقطة في العهد الجديد هي التالية: "اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم، وعمّدوهم باسم الآب والابن والروح القدس" (متى ٢٨:١٩). "فَإِنَّ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ فِي السَّمَاءِ هُمْ ثَلاَثَةٌ: الآبُ، وَالْكَلِمَةُ، وَالرُّوحُ الْقُدُسُ. وَهؤُلاَءِ الثَّلاَثَةُ هُمْ وَاحِدٌ." (١يوحنا٥:٧).

٩٢. هل الثالوث الأقدس مذكور في العهد القديم أيضاً؟

نعم؛ إنما ليس بهذا الوضوح. على سبيل المثال: "بكلمة الرب صنعت السماوات، وبنسمةِ فيهِ كل جنودها" (مزمور٣٣:٦). "قُدُّوسٌ، قُدُّوسٌ، قُدُّوسٌ رَبُّ الْجُنُودِ. مَجْدُهُ مِلْءُ كُلِّ الأَرْضِ." (أشعياء ٦:٣).

٩٣. كيف يكون إلهاً واحداً في ثلاثة أقانيم؟

لا يمكننا أن نفهم هذا السر الداخلي للإله. لكننا نؤمن به على شهادة كلمة الله المنزّهة. " أُمُورُ اللهِ لاَ يَعْرِفُهَا أَحَدٌ إِلاَّ رُوحُ اللهِ" (كورنثوس ٢:١١).

٩٤. ما هو الفرق بين أقانيم الثالوث الأقدس؟

الله الآب ليس مولوداً ولم ينبثق من أي شخص آخر: ابن الله منذ الأزل مولود من الآب: الروح القدس منذ الأزل ينبثق من الآب.

٩٥. هل الأقانيم الثلاثة أو أقانيم الثالوث الأقدس جميعهم متساوون في الجلالة؟

نعم؛ للثلاثة نفس الجلالة الإلهية تماماً. الآب هو الإله الحقيقي، والابن هو الإله الحقيقي بالقدر نفسه، والروح القدس هو الإله الحقيقي. إذاً، في الأقانيم الثلاثة يوجد إله واحد ثلاثي الأشخاص.

٩٦. لماذا يسمى الله الضابط الكل (بانتوكراتور)؟

لأنه يثبّت كل شيء بقوته وإرادته.

٩٧. ما الذي يعبّر عنه قانون الإيمان بعبارة "خالق السماء والأرض، وكل ما يرى وما لا يرى"؟

أن كل شيء هو من صنع الله، وأنه لا شيء يمكن أن يكون بدون الله.

٩٨. أليست هذه الكلمات مأخوذة من الكتاب المقدس؟

نعم هي كذلك. هكذا يبدأ سفر التكوين: في البدء خلق الله السماء والأرض.

يقول الرسول بولس ، متحدثًا عن يسوع المسيح ، ابن الله: "فَإِنَّهُ فِيهِ خُلِقَ الْكُلُّ: مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا عَلَى الأَرْضِ، مَا يُرَى وَمَا لاَ يُرَى، سَوَاءٌ كَانَ عُرُوشًا أَمْ سِيَادَاتٍ أَمْ رِيَاسَاتٍ أَمْ سَلاَطِينَ. الْكُلُّ بِهِ وَلَهُ قَدْ خُلِقَ."(كولوسي ١٦:١).

٩٩. ما المقصود في قانون الإيمان بكلمة غير منظور؟

العالم غير المرئي أو الروحي الذي تنتمي إليه الملائكة.

١٠٠. ما هم الملائكة؟

أرواح غير جسدية، ذات ذكاء وإرادة وقوة.

١٠١. ماذا يعني اسم الملاك؟

إنه يعني رسول.

١٠٢. لماذا يسمون هكذا؟

لأن الله يرسلهم ليعلنوا مشيئته. وهكذا، على سبيل المثال، أُرسل جبرائيل ليعلن لمريم العذراء الفائقة القداسة الحبلَ بالمخلص.

١٠٣. أيهما خُلق أولاً، العالم المرئي أم غير المرئي؟

غير المرئي خُلق قبل المرئي، والملائكة قبل الناس.

١٠٤. هل يمكننا أن نجد أي شهادة على هذا في الكتاب المقدس؟

في سفر أيوب، يتكلم الله بنفسه عن الأرض: " مَنْ وَضَعَ حَجَرَ زَاوِيَتِهَا، عِنْدَمَا تَرَنَّمَتْ كَوَاكِبُ الصُّبْحِ مَعًا، وَهَتَفَ جَمِيعُ بَنِي اللهِ؟" (أيوب ٦:٣٨-٧).

١٠٥. من أين أُخذ اسم الملائكة الحارسون؟

من الكلمات التالية في الكتاب المقدس: "لأنه يوصي ملائكته بك لكي يحفظوك في كل طرقك" (مزمور ١١:٩١).

١٠٦. هل لكل واحد منا ملاكه الحارس؟

بدون شك. يمكن أن نتأكد من هذا من كلمات يسوع المسيح التالية: "اُنْظُرُوا، لاَ تَحْتَقِرُوا أَحَدَ هؤُلاَءِ الصِّغَارِ، لأَنِّي أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ مَلاَئِكَتَهُمْ فِي السَّمَاوَاتِ كُلَّ حِينٍ يَنْظُرُونَ وَجْهَ أَبِي الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ" (متى١٨:١٠).

١٠٧. هل كل الملائكة صالحون وخيّرون؟

لا. هناك ملائكة أشرار، ونسمّيهم أيضاً الشياطين.

١٠٨. كيف أصبحوا أشراراً؟

لقد خُلقوا صالحين، لكنهم انحرفوا عن واجب طاعتهم الكاملة لله، وبالتالي ابتعدوا عنه وسقطوا في الإرادة الذاتية والكبرياء والخبث. بحسب كلمات الرسول يهوذا، هم "الْمَلاَئِكَةُ الَّذِينَ لَمْ يَحْفَظُوا رِيَاسَتَهُمْ، بَلْ تَرَكُوا مَسْكَنَهُمْ". (يهوذا ٦).

١٠٩. ما معنى اسم إبليس؟

تعني المفتري أو المخادع.

١١٠. لماذا يطلق على الملائكة الأشرار اسم الشياطين أي المفترين أو المخادعين؟

لأنهم دائماً ما ينصبون أفخاخاً للناس، يسعون لخداعهم، وإلهامهم بمفاهيم كاذبة ورغبات شريرة. عن هذا قال يسوع المسيح لليهود غير المؤمنين: "أَنْتُمْ مِنْ أَبٍ هُوَ إِبْلِيسُ، وَشَهَوَاتِ أَبِيكُمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَعْمَلُوا. ذَاكَ كَانَ قَتَّالاً لِلنَّاسِ مِنَ الْبَدْءِ، وَلَمْ يَثْبُتْ فِي الْحَقِّ لأَنَّهُ لَيْسَ فِيهِ حَقٌّ. مَتَى تَكَلَّمَ بِالْكَذِبِ فَإِنَّمَا يَتَكَلَّمُ مِمَّا لَهُ، لأَنَّهُ كَذَّابٌ وَأَبُو الْكَذَّابِ." (يوحنا ٨:٤٤).

١١١. ماذا كشف لنا الكتاب المقدس عن خلق العالم؟

في البدء خلق الله السماء والأرض من العدم. وكانت الأرض خربة وخالية. بعد ذلك أنتج الله على التوالي: نور في يوم العالم الأول؛ وفي اليوم الثاني، الجَلَد أو السماء المرئية؛ وفي اليوم الثالث تجمّع المياه على الأرض اليابسة وما ينبت عليها. في اليوم الرابع الشمس والقمر والنجوم. في اليوم الخامس الأسماك والطيور. في اليوم السادس المخلوقات ذات الأربع أقدام التي تعيش على الأرض، وأخيراً الإنسان. مع الإنسان انتهى الخلق. وفي اليوم السابع استراح الله من جميع أعماله. لذلك سمي اليوم السابع بالسبت، والذي يعني الراحة في اللغة العبرية. (تكوين ٢:٢).

١١٢. هل خلقت المخلوقات المرئية كما نراها الآن؟

لا. عند الخلق، كان كل شيء حسناً جداً، أي نقياً وجميلاً وغير مؤذٍ.

١١٣. ألم يخبرنا شيئاً استثنائيّاً عن خلق الإنسان؟

قال الله للثالوث الأقدس: "لنصنعنّ الإنسان على صورتنا ومثالنا" (تكوين ٢٦:١). وصنع الله جسد الانسان الأول آدم من التراب ونفخ في أنفه نسمة الحياة، أدخله إلى الجنة؛ أعطاه طعاماً، إلى جانب سائر ثمار الجنة، ثمر شجرة الحياة ؛ وأخيراً، إذ كان قد أخذ ضلعاً من آدم أثناء نومه، جعل منه أول امرأة، حواء. (تكوين ٢٢:٢).

١١٤. ما هي صورة الله؟

بحسب ما يشرح الرسول بولس، تتألف من "الْبِرِّ وَقَدَاسَةِ الْحَقِّ." (أفسس ٢٤:٤).

١١٥. ما هي نسمة الحياة؟

النفس، مادة روحية وخالدة.

١١٦. ما هو الفردوس؟

كلمة الفردوس تعني الجنة. إنه الاسم الذي يُطلق على المسكن العادل والسعيد للإنسان الأول، الموصوف في سفر التكوين على أنه مثل روضَةٍ.

١١٧. هل الجنة التي عاش فيها الإنسان أولاً مادية أم روحية؟

بالنسبة للجسد كانت مادية، ومسكِناً مرئياً ومبهجاً؛ أما بالنسبة للنفس فهي روحية، حالة شركة بالنعمة مع الله، وتأمل روحي في المخلوقات. (غريغوريوس، العظات اللاهوتية، ٢٨، ٤٢؛ يوحنا الدمشقي، الرأس ١٢، عدد٣).

١١٨. ما هي شجرة الحياة؟

شجرة بتَغَذّيه من ثمرها يكون الإنسان، حتى في الجسد، خالياً من المرض والموت.

١١٩. لماذا صنعت حواء من ضلع آدم؟

بقصد أن تكون البشرية جمعاء، من حيث الأصل، تميل بطبيعتها إلى المحبة والدفاع عن بعضها البعض.

١٢٠. ما هو التصميم الذي خلق الله الإنسان بحسبه؟

كما يلي: أن يعرف الله ويحبه ويمجّده فيكون سعيداً إلى الأبد.

١٢١. أليس لمشيئة الله هذه، التي صُمم الإنسان بها للسعادة الأبدية، اسمها الصحيح في اللاهوت؟

تُسمى تدبير الله.

١٢٢- هل يبقى تدبير الله للإنسان للسعادة كما هو دون تغيير، إذ يرى أن الإنسان الآن ليس سعيداً؟

يبقى دون تغيير. لأن الله، بعلمه المسبق ورحمته اللامتناهية، قد قرر أن يفتح للإنسان، حتى بعد انحرافه عن طريق السعادة، طريقاً جديداً للسعادة، من خلال ابنه الوحيد يسوع المسيح. " اخْتَارَنَا فِيهِ قَبْلَ تَأْسِيسِ الْعَالَمِ" (أفسس ٤:١).

١٢٣. كيف نفهم تدبير الله، للبشر بشكل عام، ولكل إنسان على حدة؟

لقد قصد الله أن يعطي كل الناس، وقد أعطاهم في الواقع نعمة تمهيدية، ووسائل كافية لتحقيق السعادة.

١٢٤. ماذا تقول كلمة الله عن هذا؟

" لأَنَّ الَّذِينَ سَبَقَ فَعَرَفَهُمْ سَبَقَ فَعَيَّنَهُمْ" (رومية ٢٩:٨).

١٢٥. كيف تتحدث الكنيسة الأرثوذكسية عن هذه النقطة؟

يَرِد في إعلان إيمان البطاركة الشرقيين: كما تنبأ أن البعض سيستخدمون إرادتهم الحرة جيداً، والبعض الآخر بشكل سيء، فعليه، قدّر الأول للمجد، بينما أدان الأخير. (المادة الثالثة)

١٢٦- ما هي القوة الإلهية بالنسبة للعالم، وخاصة للإنسان؟

الجواب يلي مباشرة بعد الخلق.

العناية الإلهية

١٢٧. ما هي العناية الإلهية؟

العناية الإلهية هي القدرة المستمرة لقوة الله الجبّار وحكمته وصلاحه، والتي من خلالها يحافظ على كيان ومَلَكات مخلوقاته، ويوجهها إلى الغايات الصالحة، ويدعم كل ما هو صالح؛ أما الشر الذي ينبع من الانحراف عن الخير فإما يقطعه أو يصلحه ويحوله إلى نتائج طيبة.

١٢٨. كيف يتحدث الكتاب المقدس عن عناية الله؟

يقول يسوع المسيح نفسه: "أُنْظُرُوا إِلَى طُيُورِ السَّمَاءِ: إِنَّهَا لاَ تَزْرَعُ وَلاَ تَحْصُدُ وَلاَ تَجْمَعُ إِلَى مَخَازِنَ، وَأَبُوكُمُ السَّمَاوِيُّ يَقُوتُهَا. أَلَسْتُمْ أَنْتُمْ بِالْحَرِيِّ أَفْضَلَ مِنْهَا؟" (متى ٦:٢٦). تظهر هذه الكلمات عناية الله العامة بالمخلوقات، وعنايته الخاصة بالإنسان. يمثّل المزمور الحادي والتسعون كله وصفاً لعناية الله الخاصة بالإنسان والمتعددة الأشكال..

هدف الحياة وغايتها

الشيخ يوسف الفاتوبيذي

نقلتها إلى العربية أسرة التراث الأرثوذكسي

"الكلمة صار جسداً وحلّ فينا. وقد رأينا مجده، مجد وحيد جاء من الآب، مملؤاً نعمة وحقاً" (يوحنا ١:١٤). " لأَنَّهُ لاَقَ بِذَاكَ الَّذِي مِنْ أَجْلِهِ الْكُلُّ وَبِهِ الْكُلُّ، وَهُوَ آتٍ بِأَبْنَاءٍ كَثِيرِينَ إِلَى الْمَجْدِ، أَنْ يُكَمِّلَ رَئِيسَ خَلاَصِهِمْ بِالآلاَمِ." (عبرانيين ٢:١٠).

ولأن الصورة سقطت وتحطمت إلى أجزاء، فإن الشخص الوحيد الذي يمكنه التدخل وتجديدها لم يكن أحدًا سوى الذي صنعها أولاً: "لأنه قال فكان. هو أمر فصار" (مزمور ٣٣:٩). "ولمّا تمّ ملء الزمان"، حان الوقت لإتمام المخطط الإلهي لخلاصنا من خلال الإرادة الإلهية، "أَرْسَلَ اللهُ ابْنَهُ مَوْلُودًا مِنِ امْرَأَةٍ، مَوْلُودًا تَحْتَ النَّامُوسِ، لِيَفْتَدِيَ الَّذِينَ تَحْتَ النَّامُوسِ، لِنَنَالَ التَّبَنِّيَ." (غلاطية ٤:٤-٥).

في اليوم الذي نحتفل فيه بمخطط الله لخلاص العالم، عيد الميلاد، زار الله شعبه و"الكلمة صار جسداً". لم تُسمَع بشارة أفضل في تاريخ البشرية في أي مكان في العالم. الرسالة الأبدية، في السماء وعلى الأرض وحتى تحت الأرض هي ببساطة: "الكلمة صار إنساناً". في خليقةٍ كانت عرضةً للموت والفساد، ماذا عدا ذلك، أو بالأحرى مَن الذي يمكن توقعُه لاستعادة التوازن، غير المهندس الأول؟ صرخت الخليقة كلها تحت ضغط الفساد: "أرنا وجهك فنخلص" (مزمور ٨٠:٣)؛ "لتتقدمنا مراحمك سريعاً، لأننا قد تذللنا جداً" (مزمور ٧٩:٨).

وعندما غادر السماء، "صار الكلمة إنساناً". في هذه الكلمات الثلاث، يُحتَضَن الإنجيل بأكمله، البشرى السارة إلى السماء والأرض وإلى كل الخليقة. لأن الله الكلمة صار جسداً، فهذا يعني أنه اتحد أقنومياً بنا نحن البشر، الذين أصبحنا منذ تلك اللحظة أناساً "بجسد إلهي". إن جسد الكلمة البشري، في اتحاد سرّي ولكن حقيقي مع الله، يختبر ويشعّ كل الكمالات الإلهية. عندما أخذ الله الكلمة طبيعتنا البشرية، لم يصِر جسداً فحسب، بل أيضاً روحاً، "روحًا إلهية".

لكن حتى بعد الاتحاد، يظل الاثنان غير مختلطَين. يبقى الله هو الله والروح تبقى الروح، والفرق هو أنه لكَون الروح قد تلقّت الصفات الإلهية بالنعمة، فهي تشارك الآن في أسرار الله المبهجة. من خلال مشاركتها الأقنومية، مع الولادة الذاتية والخلود الإلهيين، تصبح الروح عضواً فاعلاً في الحياة الأبدية والخلود في المسيح، كما في السِمات الإلهية الأخرى، حيث تشارك في التدبير الإلهي، أي مخطط الله لخلاصنا.

بتجسده، أعطى الكلمة الإلهي صفات أخرى للطبيعة البشرية. لقد أعطى جزءاً من سِماته الإلهية إلى كل كيان البشرية النفس-جسدي، وبهذه الطريقة، تحوّل كل شيء إلى "شِبهِ الله"، كما كان قبل السقوط. الآن، بالفعل، لقد اكتسب الذين يعيشون في المسيح وعياً على شبه المسيح، وضميراً على شبه المسيح، وإرادة على شبه المسيح، وذاكرة على شبه المسيح، وبوجه عام، تطعّمَت [كما يتمّ تطعيم الشجر: المترجم] طبيعتُهم بأكملها بجسد المسيح المؤلَّه وصاروا أشباه المسيح. بما أن الله الكلمة هو خالق كل الخليقة، فهو أيضًا أساس كل بُنيَة

العالم. بالخطيئة والشر، يحاول الجنس البشري إبعاد الله، الخالق، عن أسس الكون. لقد تجسَّد ابن الله الوحيد وكلمته لكي يتواصل مع خليقته ويعيدها إلى خالقها الذي انسلخت عنه بالتعدي والسقوط.

بالرغم من ذلك، فهو في نفس الوقت أساسها الأول. الابن " هُوَ صُورَةُ اللهِ غَيْرِ الْمَنْظُورِ، بِكْرُ كُلِّ خَلِيقَةٍ. فَإِنَّهُ فِيهِ خُلِقَ الْكُلُّ: مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا عَلَى الأَرْضِ، مَا يُرَى وَمَا لاَ يُرَى، سَوَاءٌ كَانَ عُرُوشًا أَمْ سِيَادَاتٍ أَمْ رِيَاسَاتٍ أَمْ سَلاَطِينَ. الْكُلُّ بِهِ وَلَهُ قَدْ خُلِقَ. (كولوسي ١:١٥-١٦)ـ في مكان آخر يقول التالي: " فَإِنَّهُ لاَ يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يَضَعَ أَسَاسًا آخَرَ غَيْرَ الَّذِي وُضِعَ، الَّذِي هُوَ يَسُوعُ الْمَسِيحُ." (١ كورنثوس ٣:١١). إن الذين يبنون على صخرة الكون الثابتة التي لا تتزعزع هم حكماء وقد اكتسبت شخصيتهم كل صفات الله؛ لقد صاروا "على شبه الكلمة"، وسوف يصمدون أمام صدمات الهزّات هذا العالم وعدم يقينه.

يوضح تجسد الله الكلمة أن الرشد هو جوهر طبيعتنا، وأساس كياننا وأساسه. في نموذجها الأول وفي طبيعتها، كل الخليقة، المادية وغير المادية، تأتي من الله الكلمة وهي للكلمة. فيه ومن خلاله يعود كل شيء إلى أصله الراشد ووجوده. وحيث أن مصدرنا هو من الله وبالله، فإن حياتنا وكياننا يعتمدان عليه كلياً. أليس هذا ما تعنيه كلمات ربنا: "بِدُونِي لاَ تَقْدِرُونَ أَنْ تَفْعَلُوا شَيْئًا" (يوحنا ١٥:٥).

Elder Iosif Vatopaidinos. The aim and purpose of life. Pemptousia. 28 May 2022. https://pemptousia.com/2022/05/the-aim-and-purpose-of-life/.

علينا الذهاب إلى القداس الإلهي، حتى ولو وقفنا هناك مثل قروم الأشجار

المتروبوليت أثناسيوس ليماسول

نقلتها إلى العربية أسرة التراث الأرثوذكسي

"نعمة ربنا يسوع المسيح، ومحبة الله الآب، وشركة الروح القدس، لتكن مع جميعكم"

إن هذه البركة والنعمة التي نتلقاها ونقبلها تُعطى لأولئك الذين يحضرون إلى القداس الإلهي. لذلك نقول فلتذهبوا إلى القداس الإلهي وتشتركوا فيه.

غالباً ما يسأل الناس: "لمَ عليَّ الذهاب إلى القداس؟" عليك الذهاب لأنك لن تتلقى كل هذه البركات والنعمة إن لم تشترك في سرالشكر (الإفخارستيا).

نعمة ربنا يسوع المسيح... : ما معنى "النعمة"؟ إنها تعني القوة؛ إنها قوة الله غير المخلوقة؛ هي قوة مشابهة للطاقة الكهربائية. مثلاً، من رأى تياراً كهربائياً؟ لم يره أحد، إنه غير مرئي، ولكنْ إنْ لامستَ كابلاً مكشوفاً فسيصدمك التيار الكهربائي. ليست الطاقة الكهربائية كالماء الذي تستطيع رؤيته، مع أنك ترى نتيجتها ويمكنك الشعور بها.

هكذا هي نعمة الله. إنها قوة غير مخلوقة؛ لا يمكنك رؤيتها ولكنك تشعر بها حين تتلقى هذه القوة من الخارج. يشبه الأمر توصيل ترانزستور فيبدأ بالعمل – هكذا هي النعمة. ليست شيئاً مجرداً، ليست شعوراً ما، ليست شيئاً وهمياً يختلقه المرء بنفسه. إنها لا تأتي من الإنسانِ، بل تأتي من الله وتدْخُل الإنسان، تفعّله، فيدرك ذلك ويشعر به. النعمة هي قوة الله، قدرة الله التي تنشّط نفوس البشر.

ومحبة الله الآب... : أحبَّ الله الآبُ العالمَ بلا حدود، ولا يمكنك فهمُه بعقلك؛ لا يمكنك وصفُ أو حَدُّ أو التعبيرُ عن محبة الله؛ إنها متعذرة الوصف. لكنَّ محبتنا بشرية. إننا بشرٌ وكائناتٌ محدودةٌ بطبيعة الحال. نقول: " أحبُّ فلاناً من كل قلبي". ولكن، مهما قلنا أو فعلنا لِمَن نحبّ، ستكون محبتنا أقل بكثير مما يمكننا قوله أو التعبير عنه.

والآن فكروا بالله: حين يحبُّ الله، وهو غيرُ المحدودِ بطبيعته، فلا العقلُ البشري ولا عقولُ الملائكة يمكنها أن تدركه، لذا لا يمكن لأحدٍ أن يستوعب محبة الله بشكلٍ كامل، هذه المحبة الإلهية اللامتناهية للآب، الذي هكذا أحب العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكي يُخلّص العالم، ولكي يأتي العالم إليه ويصبح البشرُ أولادَه، ولكي نتمكن من الدخول إلى محبته وملكوته.

وشركة الروح القدس... : أي أن نشترك في نعمة الروح القدس، وأن تدخل فينا ونتّحد بها. حتى نصبح كالطحين الذي، بامتصاصه الماء، يصبح عجيناً. لا يمكن للطحين عندها أن ينفصل عن العجين بحيث يمكن القول: "هذا طحين وهذا ماء"، لأنه قد أصبح عجيناً بالفعل. لذلك حين تكون لنا شركة في نعمة الروح القدس،

نصبح واحداً مع الله. وهذه البركة من الكاهن، والمأخوذة من رسالة القديس بولس الرسول (٢كورنثوس ١٣:١٣)، تنقل إلينا مباشرةً بركة الثالوث القدوس.

لتكن مع جميعكم! : حين يقول الكاهن شيئاً ما أثناء القداس الإلهي أو الأسرار المقدسة، فإن ما يقوله ليس مجرد صلاةٍ قد تتحقق أو لا. عندما يقول الكاهن شيئاً ما أثناء الأسرار المقدسة، من خلال كهنوته، فإنه يُعتبر بالفعل حدثاً منجَزاً. على سبيل المثال، حين يبارك الماء ويصبح ماءً مقدساً، فليس هناك احتمال ألا يصبح ماءً مقدساً. حين يتلو الكاهن صلاةً على إنسانٍ أو يباركه، يستحيل ألا تكون هذه البركةُ بركةً بالفعل، بصرف النظر عمّن هو الكاهن. قد يكون الأكثر إثماً أو بغيضاً أو سارقاً أو كاذباً أو خاطئاً، لا يهم. فإنه منذ اللحظة التي أصبح فيها كاهناً قانونياً، وإذا لم تكن الكنيسة قد جرّدته من كهنوته، فإن بركته وليتورجيته تساوي الليتورجيا التي قد يخدمها المسيح بنفسه. أي لو كان هناك قداسٌ إلهي يخدمه المسيح نفسه، وقداس يخدمه هذا الكاهن، فأي القداسين له قوة أعظم؟ إنهما متماثلان، لأن المسيح يتمم كل شيء في كل واحد، والكاهن هو خادم. من المؤكد أن الكاهن غير المستحق يحترق فيما هو يخدم بدون استحقاق، لأن الأسرار المقدسة لهيبٌ يحوله إلى رماد. ولكن سواء احترق أو تحول إلى رمادٍ فذلك شأنه، ولا يمكننا إدانته أو الحكم عليه. هناك أعضاءٌ مختصّون في الكنيسة يمكنهم التحقيق في هذه القضايا. ما يهمنا هو كونه كاهناً قانونياً أو لا، إن كان قد تم توقيفه أو لا، وإذا لم يكن موقوفاً، فبفضل كهنوته يحتفل بالأسرار المقدسة.

يقول القديس يوحنا الذهبي الفم إنه في عصره كان بعض الناس يكرمون الكهنة الصالحين. نحن نفعل ذلك أيضاً، تماماً بهذه الطريقة، بطريقة بشرية، أي نقول: "لقد جاء كاهن كذا وكذا! إنه رجلٌ قديس!" ويهرع الجميع لتقبيل يده. ثم يأتي كاهن آخر، للأسف ليس بقديسٍ، أو لم نعتبره قديساً. يقولون له فقط: "بارك يا أب"، هذا إن قالوا ذلك حتى. من الجيد أن نأخذ بركته، ولكن ماذا يعني ذلك؟ ليس الكهنوت مسألة قداسة شخصية. سواء كان قديساً أو خاطئاً فهذا شأنه. عندما تكرمُ كاهناً قديساً فإنك لا تكرم الكهنوت بل القداسة، وحين تكرم أيَّ كاهنٍ فإنك، في شخص الكاهن، تكرّم الكهنوت، وبتكريم الكهنوت تكرم المسيح مصدر الكهنوت ورئيس الكهنة الأعظم للكنيسة.

لذلك تقول إحدى صلوات القداس الإلهي: "لأنك أنت هو المقرِّب والمقرَّب، القابل والموزَّع، أيها المسيح إلهنا". إن المسيح هو من يخدم القداس ، وليس الكاهن. هو من يقرّب التقدمات ويقرّب ذاته؛ هو التقدمة ومعطي التقدمة، هو يتمم كل شيء في الجميع.

إننا نكرم الكهنوت؛ نكرم نعمة الروح القدس الفاعلة عبر الكاهن. لذلك ويلٌ لنا إن كانت الكنيسة قائمة على القداسة الشخصية؛ أي إذا كان الكاهن قديساً فالليتورجيا صحيحة، وإذا كان خاطئاً فالليتورجيا باطلة. ليس الأمر كذلك. لذا فحين يحتفل الكاهن بسرٍ مقدس، تنتقل كل بركة الله ونعمته عبر الكهنوت إلى البشر.

ستقولون لي: "لماذا تمتلك بركة بعض الكهنة قوة فيما بركة كهنةٍ آخرين فلا تمتلك هذه القوة؟" لا يتوقف الأمر على الكاهن، بل لأننا لا نقبل البركة بإيمان، لأننا بشر ولنا ضعفاتنا البشرية. لنا إيمان أكبر حين نتلقى بركة

كاهنٍ قديس لأننا نُعِدّ أنفسنا مسبقاً بإيماننا قائلين: "إنه قديس، رجل صالح"، وهلمّ جر. لذلك فإننا، وبإيماننا نهيئ أنفسنا له.

علينا أن نشترك في القداس الإلهي، حتى ولو وقفنا هناك كقروم الأشجار. سيقول البعض: "لست كما ينبغي أن أكون. لا أفهم شيئاً منه (أي القداس). لا يمكن لعقلي التركيز هناك". ولكن اذهبوا، مهما يكن. قال أحد الشيوخ: "حين تتوقف عند متجر عطور، فإن ثيابك تفوح برائحة زكية بعد أن تغادر، حتى ولو لم تشترِ شيئاً". هذا ما يحدث، كما يقول، حين تذهب إلى القداس.

ربما لن تستطيع القيام بأي شيء روحي، ولكنْ كونك ذهبت، حتى ولو وقفت هناك كقرم شجرة، هذا شيءٌ ما بالفعل. لذلك قل لنفسك: "سأذهب كما أنا؛ كقطعة حطب غير مقطوعة. في نهاية الأمر، يعرف الله كيف يشحذ قطعة حطب غير مقطوعة". إذا لم تذهب متعذراً بالقول: "لا أستطيع. لا يمكنني التركيز"، حينها سيزداد كل شيء سوءاً، ولن تتحسن أبداً.

Source: Metropolitan Athanasios of Limassol. We Have to Go to Liturgy, Even if We Stand There Like Stumps. Pravoslavie. https://orthochristian.com/144079.html

القيَم التقليدية للعائلة

المتقدم في الكهنة لورنس فايرلي

نقلتها إلى العربية أسرة التراث الأرثوذكسي

ما هي "القيَم التقليدية للعائلة" وما هو دورها في حياة المسيحي؟

بادئ ذي بدء، من المهم فهم ما ليس مقصوداً بمصطلح "القيَم التقليدية للعائلة". على وجه الخصوص، لا يعني المصطلح أن الأسرة هي أهم شيء في الحياة، أو أنّ على المرء أن يضع الأسرة في المرتبة الأولى قبل كل شيء آخر. ربما هذا ما يعتقده أعضاء المافيا، حيث تقاتل عائلة كورليون ضد عائلة تاتاغليا المنافسة أو بارزينيس. لكنّ المسيحيين لا يستطيعون منح الأسرة المرتبة الأولى في قائمة الأولويات، فنحن نتبع من قال: " جِئْتُ لأُفَرِّقَ الإِنْسَانَ ضِدَّ أَبِيهِ، وَالابْنَةَ ضِدَّ أُمِّهَا، وَالْكَنَّةَ ضِدَّ حَمَاتِهَا. وَأَعْدَاءُ الإِنْسَانِ أَهْلُ بَيْتِهِ. مَنْ أَحَبَّ أَبًا أَوْ أُمًّا أَكْثَرَ مِنِّي فَلاَ يَسْتَحِقُّنِي، وَمَنْ أَحَبَّ ابْنًا أَوِ ابْنَةً أَكْثَرَ مِنِّي فَلاَ يَسْتَحِقُّنِي" (متى١٠:٣٥-٣٧). نحن مدعوون لنحبّ ونحترم آباءنا وأمهاتنا ونعتزّ بأطفالنا، لكنّ ولاءنا الأول والأساسي هو للمسيح.

في الواقع، يؤدّي مصطلح "القيم التقليدية للعائلة" وظيفة الرمز لرفض القيم والأيديولوجيات المنافسة التي يتمّ ضخّها بقوة والترويج لها هنا في الغرب المتدهرن. ربما هذا هو سبب خجل اليسار الليبرالي إلى حدٍ ما من مناقشة هذا المصطلح أو استخدامه.

لنأخذ، على سبيل المثال، مقالة (قديمة نسبياً) صدرت عام ٢٠١٣ في الأتلانتيك (the Atlantic)، بعنوان "لماذا يصعب على الليبراليين التحدث عن'قيَم الأسرة'؟" تساءلت كاتبة المقال، إيما غرين، "هل 'القيم العائلية' موضوعٌ محرَّم بالنسبة لليسار؟ لسبب واحد، قد تكون هناك مشكلة لغوية. ترتبط مصطلحات القيَم العائلية ارتباطاً وثيقاً بطريقة تأطيرها التي تعود إلى ثمانينيات القرن العشرين وإلى جيري فولويل، كما قال براد ويلكوكس، مدير مشروع الزواج الوطني في جامعة فيرجينيا: "تميل عبارة 'القيم العائلية' إلى إعادة الذكريات المزعجة من عهد ريغان و 'الأغلبية الأخلاقية'".

لذلك فإن مصطلح "القيم التقليدية للعائلة" لا يتعلّق في نهاية المطاف بأهمية الأسرة؛ إنها طلقة لفظية تم إطلاقها عبر قوس سفينة معادية في حرب ثقافية. إن الذين يستخدمون المصطلح يعبّرون عن رفضهم ومعارضتهم لمجموعة من الظواهر الثقافية الحديثة نسبياً، مثل إضفاء الشرعية على السلوك الجنسي المثلي والزواج المثلي، وقبول التحولات الجنسية مع الإعلان المصاحب بأنه يمكن اختيار الجنس حسب الرغبة بما لا علاقة له بالبيولوجيا الأساسية، وانتشار الإباحية وتطبيعها. يمكن إضافة أشياء أخرى لا علاقة لها بالجنس إلى القائمة. القاسم المشترك بينها جميعاً هو أنها معاً تشكّل جزءاً من رفضٍ متماسكٍ ومنهجي للنطاق الأخلاقي الذي كان موجوداً منذ عقود وهو الآن تحت التهديد.

هناك شيء واحد مؤكد: القيم الموجودة في قائمة القيم التقليدية للعائلة هي بالفعل قيم تقليدية. أي يمكن حقاً الادعاء بأن جذورها موجودة في الإيمان المسيحي (وفي تقاليد إيمانية أخرى أيضاً) من الأيام القديمة

وحتى وقت قريب جداً. هذا لا يثبِت في حد ذاته، بالطبع، أن الممارسات الجديدة خاطئة، لكنه يعني أنه عند الترويج للقيم والأيديولوجية الدهرية الجديدة، على المرء أن يؤكّد أن المسيحية (واليهودية والإسلام) كانت على خطأ بشكل كبير لمئات أو آلاف السنين، وأن المروّجين المعاصرين للأخلاق المستجدة هم بطريقةٍ ما أكثر حكمةً من كلّ مَن سبقهم. هذه مهمة كبيرة، وربّما تفسر تفضيل اليسار الليبرالي للشتائم على الجدل المستمر. من الأسهل ببساطة تصنيف التقليديين على أنهم متعصّبون لإنسان نياندرتال وعلى الجانب الخاطئ من التاريخ بدلاً من مناقشة حالة الفرد الدهرية.

أين هو إذن مكان القيم التقليدية للعائلة في حياة المسيحي؟ أقترح أمرين: دور المسيحي في الميدان العام، ودوره ضمن عائلته.

في ما يتعلق بالميدان العام، أقترح أنه من السطحية والسذاجة التأكيد على أن تبنّي ما هو فعلياً أخلاق جديدة لن يؤثر سلباً على المجتمع على المدى الطويل. على هذا الأساس، يجب على المسيحي أن يبذل قصارى جهده لمعارضة الترويج للأخلاق الجديدة. هذا لا يعني أنه إذا أصبح زواج المثليين قانونياً في أول الأسبوع، فإن العائلات التي تقوم على شريكين من الجنسين سوف تنهار بحلول آخر الأسبوع. إلى الذين يسألون من باب البلاغة، "هل سبق وعرفتم شخصاً انهار زواجه بسبب مسيرات فخر المثليين؟" الإجابة هي بالطبع "لا". لكننا نناقش مساراتٍ ثقافيةً طويلة الأمد، وليس نتائج فورية.

يمكن الجدال، على سبيل المثال، أن الرجال والنساء مختلفون، والآباء والأمهات لهم أدوار مختلفة ومتكاملة في تنشئة الأطفال وتربيتهم. إن التغيير المتعمّد للنموذج التقليدي، بحيث يكون لدى المرء أبوان أو أمّان، يحرِمُ الأطفال بالتالي من التغذية اللازمة من الشريك الآخر، كما يفصل الجنس عن الإنجاب. علاوة على ذلك، يمكننا أن نرى الآن كيف أن منح الامتياز للاختيار الشخصي في النظام الأخلاقي يمكن أن يؤدّي إلى خلق مشاكل لا يمكن توقعها.

في كندا مثلاً، نصرّ الآن على أن للأفراد الحق في اختيار متى وكيف سيموتون، مع ما يسمى بالمساعدة الطبية في الموت (أي قيام الأطباء بقتل الأشخاص عند الطلب). مع تزايد شيوع ذلك، فإنّ الأمر يشكّل ضغطاً على كبار السن لإنهاء حياتهم قبل الأوان، خشية أن يصبحوا عبئاً مادياً على أبنائهم. لم تكن هذه النتيجة متوقعة، وبالتأكيد لم تكن مقصودة، لكنها ستتحقق رغم ذلك.

وبنفس الطريقة، فإن جعل الاختيار الشخصي أمراً سامياً (سواء في اختيار الشريك الجنسي أو اختيار الجنس) سيكون له نتائج غير متوقعة على المدى الطويل في الأجيال القادمة. تضع القيم الجديدة غير التقليدية الأساس لمستقبل مجتمع قد يكون مختلفاً بشكل كبير عن المجتمع الذي نعيشه الآن، ويجب على المسيحي أن يعارض التطورات التي ستضرّ الأجيال القادمة من منطلق الاهتمام بالمجتمع الذي يعيش فيه.

من جهة القيم التقليدية للعائلة في الحياة الداخلية للأسرة: هناك شعور بأن الأسرة تحدد نفسها مقابل المجتمع سواء كان المجتمع يعتنق القيم العائلية التقليدية أم لا، حيث يجب على كل أسرة أن تختار ما إذا كانت ستتبع المجتمع أم لا. في الجنوب الأمريكي في أوائل القرن العشرين، كان على الأسرة أن تختار اعتناق العنصرية أم

لا. يتعين على العائلات الموجودة الآن في العالم الغربي أن تختار ما إذا كانت تعتنق الفهم الجديد للجنس والجنسانية أم لا.

على كل عائلة أن تقرر لنفسها كيف تعيش وكيف تربّي أبناءها. هذا يعني أنه مع تزايد رفض المجتمع للقيم التقليدية للعائلة، يجب على العائلات المسيحية أن تصبح مناهضة للثقافة بشكل متزايد. حتى لو يئسنا من تغيير الأعراف الحالية وتخلينا عن الساحة العامة، فما زال يتعين علينا أن نعيش بحسب القيَم التي تعكس إيماننا. ليس هذا بجديد. لقد كنا في سراديب الموت الثقافية من قبل، وقد نكون متّجهين إلى هناك من جديد.

في النهاية، لا يتعلق الأمر بقيَم الأسرة، بل بالإخلاص للمسيح. يوصي المسيح تلاميذه أن يعيشوا بطريقة معينة، بغضّ النظر عما إذا كان الناس من حولهم يعيشون بهذه الطريقة أم لا. قد يأتي وقت نتوقف فيه عن الحديث عن القيم العائلية التقليدية ونتحدث ببساطة عن طريقة الحياة التي أعطانا إياها المسيح. إذا استمر المجتمع في دوامة الانحدار، فقد لا يكون ذلك اليوم بعيداً جداً.

Source: Archpriest Lawrence Farley. “Traditional Family Values”. No Other Foundation. June 13, 2022. https://blogs.ancientfaith.com/nootherfoundation/traditional-family-values/

الصراحة تمقت الادّعاء

الأرشمندريت ثيوفيلوس ليمونتزيس

نقلتها إلى العربية أسرة التراث الأرثوذكسي

الأخلاقية (Moralism) هي مثال نموذجي للنفاق. إن النفاق يلوّث حتى الأفعال الفاضلة، ويستخدم القديس يوحنا السلمي حادثة مرحة لتحليل هذا الجانب الخادع من الحياة الروحية، الذي غالباً ما نشجعه نحن المؤمنون. يقول القديس أننا في بعض الأحيان عندما نسحب الماء من البئر نكون قد جذبنا ضفدعاً معه دون أن ندرك. بالطريقة نفسها، بينما نزرع الفضائل، نخدم الشرور المتشابكة معها رغم أنها غير ظاهرة. إنها بالضبط "غطرسة الفضيلة" التي يمكن العثور عليها في العديد من الأشخاص المتدينين. لكن عندما تُكتَسَب الفضائل بوعي وبحسب إرادة الله، بعيداً عن النفاق وكل جهدٍ لإرضاء الآخرين، فإننا نُقاد إلى تعزيز التواضع والهدوء (القديس يوحنا الدمشقي).

إذا قررنا معرفة الحقيقة عن أنفسنا والآخرين، إذا قررنا التوقف عن بناء "أنا" مُتَخَيَّلة للتعبير عن محيطنا الاجتماعي، فعلينا أن ندرك أنه ينبغي لنا أن نكون صريحين وصادقين. الصراحة تمقتُ الادّعاء. التظاهر يدمّر وحدة الشخصية لأنه يجعلنا نبدو مختلفين ظاهرياً عما نحن عليه بالفعل. إنه يشوّه جوهر الحياة الروحية لأنه ينمّي محبة الذات والرغبة ومحبة اللذة.

بقدر ما يحب الناس أنفسهم، يزداد اعتمادهم على آراء من حولهم. لكن المسيح يعلّمنا نبذ الأكاذيب والأنانية وكل تلك الأشكال الخارجية من السلوك الصالح وتبرير الذات. وعلى الرغم من أنه يمكن التغاضي عن الإغفالات والضعف، إلا أنه لا يمكن التغاضي عن النفاق. لذا، إذا قررتَ أن تعيش بشرف وصراحة، فعليك فحص المتناقضات لديك ومواجهتها بصدق وبدون أعذار. يأتي علاج النفاق من معرفة الذات التي تقود إلى التوبة التي تعادل التغيّر الوجودي.

أنت مدعو للشروع في مسار معرفة الذات، أي أن تفهم في قلبك الطبيعة الحقيقية لمرضك الروحي، لأن الذين لم يروا ظلامهم الداخلي لا يبحثون عن النور.

نحن مدعوون إلى التجرّد من إنجازاتنا المفتَرَضة حتى نتمكن من استيعاب الجهد المبذول على طريق التوبة لتنمية الشخص الداخلي. كن أكيداً أن اللطف والتأدّب حالتان داخليتان في عالمك الروحي، وليسا أقنعة اصطناعية لارتدائها من أجل ترك انطباع جيد لدى الآخرين.

نحن مطالَبون بخلع قناع الفضيلة وارتداء ذاتنا الحقيقية، لأن "الله يراقب قلبنا ويفحص محتوياته"، كما يعلّمنا القديس بايسيوس الأثوسي. لتحقيق ذلك، يجب أن تدرك أولاً أن قيمة حياتك لا تعتمد على الآراء المختلفة التي لدى الآخرين عنك، ولكن على شهادةِ ضميرِك الداخلية. حرّر نفسَكَ من كل الروابط والأوهام القصيرة العمر في العالم الحالي، حتى تفهم أنك لست بحاجة إلى استيعابها، كما لا حاجة لك لكسب القبول العام والثناء.

احتضِنْ روعة البساطة المطلَقة. كن مخلِصاً ومباشراً في جميع جوانب حياتك. هذا يفترض جهداً وكفاحاً وممارسةً روحية لأنه، حتى ولو نبع شيء حقيقي من داخلنا في بعض الأحيان، فإن ذواتنا الحقيقية لا تظهر إلا من خلال آلام ممارسة النسك الروحي والجسدي. هذا هو بالضبط الصراع المستمر الذي لا يرحم والذي يخاض في نفوسنا الداخلية: إنه الصراع بين الشخصية الصادقة والموقف الزائف والمنافق.

إذاً عليك أن تهدف إلى تنمية نفسك الداخلية، بدلاً من التظاهر أنك تحب الذين يتظاهرون بأنهم يحبونك. لأن الناس الروحيين ليسوا "لائقين ومناسبين"، لكنهم كما يريدهم الله أن يكونوا. إذ نتحرر من الأنانية ووسواس التقاليد القهري، نكون مطالَبين بزراعة الفضائل؛ لا لنصبح محبوبين ممن حولنا، بل لخدمة محبة الله ومحبة الآخرين فقط.

لذا فلنتجنّب الانزلاق إلى النفاق والسلوك المُتَصَنِّع. فلنسمح لله أن يغمر ويجتاح كياننا. فلنعالج ذواتنا من الانهماك بممارسات التقشف واحترام الوصايا، حتى نتمكن من التقدم نحو محبة إخوتنا وأخواتنا ومن هناك نحو محبة الله، حتى نصبح لا نرضي الآخرين بل الله.

إذا أصبحنا مُرضين لله، فمن المؤكد أننا سنرضي الآخرين أيضاً، لأن الصالحين يشبهون مدينة مبنية على تلٍ، كما يؤكّد ربنا نفسه: "لاَ يُمْكِنُ أَنْ تُخْفَى مَدِينَةٌ مَوْضُوعَةٌ عَلَى جَبَلٍ" (متى ١٤:٥).

Source: Sincerity: Abhorrence of Pretense. Pemptousia. 30 May 2022.
https://pemptousia.com/2022/05/sincerity-abhorrence-of-pretense/

التألّه كالمشروع المسيحي والنموذج لما بعد الإنسانية الحقيقية*

جان كلود لارشيه

نقلها إلى العربية الأب أنطوان ملكي

خلال العقودِ الأخيرة، تطورَتْ في الولايات المتحدة ثم انتشرَتْ في جميعِ أنحاءِ العالمِ الغربي، نظرياتٌ مختلفةٌ مرتبطةٌ بما يسمى "تيارَ ما بعدَ الإنسانية" (transhumanism).

يهدفُ هذا التيارُ إلى تجاوزِ حدودِ الإنسان. يتم تحديدُ هذا التجاوزِ في اللغةِ الإنجليزيةِ من خلال كلمةِ "التعزيز" (enhancement) التي تعني التَّحسينَ أو الزيادة. كما يظهرُ هذا المعنى المزدوج بالفعل، يتمّ تصوّرُ هذا التعزيزِ بدرجاتٍ مختلفةٍ، ويمكن أن ينتقلَ من علاجٍ بسيطٍ للأمراضِ أو العاهات، إلى تحوّلِ النوعِ وخلقِ رجلٍ خارق، أي أن يكونَ للإنسانِ قدراتٌ و كفاءةٌ أعلى من تلك التي يتمتعُ بها الإنسانُ في حالتِه الحالية.

لهذا التيارِ أساسان:

١) على الرغمِ من الإشارةِ إليه على أنه "ما بعدَ الإنسانية" أو "عبرَ الإنسانية" ، إلا أنَّه متجذرٌ عالمياً في النزعةِ الإنسانيةِ التي وُلدَتْ في عصرِ النهضةِ وتطورَتْ في القرن الثامنَ عشر مع "التنوير"، أي في مفهومٍ يعتبرُ الإنسانَ موجوداً بطريقةٍ مطلقة، بمعزلٍ عن الله، ولا يمكن أن يكونَ هناك مساهمةٌ خارقةٌ للطبيعة، بل فقط مساهمةٌ ثقافية، أي أنها تأتي من الإنتاجاتِ الاجتماعية.

٢) يرتبط هذا التيارُ بشكلٍ أساسي بالتقدُّمِ التكنولوجي، بالفكرةِ القائلةِ بأنه يمكنُ تحسينُ الإنسانِ وتعزيزُه وتحويلُه وتجاوزُه قبل كلِ شيءٍ عن طريقِ التقنياتِ الجديدة (خاصة علوم الرجالِ الآليين والكمبيوتر والوراثة) ؛ ومن مُنطَلَقِ هذا المعنى، يكون أساسُ الفكرةِ مادياً. بقدرِ ما تستندُ التقنياتُ إلى العلم، تعتقدُ حركةُ ما بعدَ الإنسانيةِ أن جميعَ مشاكلِ الإنسانِ تقريباً – إن لم يكن كلَّها – يمكنُ حلُّها من خلالِ التقدمِ التكنولوجي القائمِ على التقدمِ العلمي. كما أن هذه الحركةَ متجذِّرةٌ في العلموية (scientism)، وهي تيارٌ فلسفيٌ وُلِدَ في نهايةِ القرنِ التاسعَ عشر، ويرجِّحُ أن كلَ المشاكلِ في الوجودِ البشري، الآن أو في المستقبل، تجدُ حلاً في المعرفةِ العلمية.

على الرغمِ من أن حركةَ ما بعدَ الإنسانية، وعلى وجه الخصوصِ نظريات التعزيز، هي حديثةٌ للغايةِ (وحتى مُستقبلية) ، يمكننا أن نرى أن أسُسَها قديمة، لأنها تستندُ إلى إنسانيةِ عصرِ النهضة، وعقلانيةِ التنوير، وعلمويةِ القرنِ التاسع عشر، كما التكنولوجيا التي وُلِدَتْ في نفسِ الفترة.

في ما يتعلق بأسُسِها ذاتها، فإن ما بعدَ الإنسانيةِ وما يرتبطُ بها يقدِّمُ عددًا من نقاطِ الضعف:

١) إن ما بعدَ الإنسانيةِ تقوِّضُ الإنسانيةَ كنموذجٍ أخلاقي، إذْ بقدرِ ما تزدهرُ هي تزيدُ من حصَّةِ التألّي (استعمالِ الآلات) التقنيةِ في الاشتغالِ الجسديِّ والنفسيِّ للإنسان، وتقللُ في نفسِ الوقتِ من حصةِ البشرية، ويمكنُها في النهايةِ، بحسبِ منطقِها، أن تؤدِّيَ إلى "عالمٍ بلا بشر". هذه العبارةُ هي عنوانُ وثائقيٍّ حديثٍ من ناشيونال جيوغرافيك National Geographic.

٢) العقلانيةُ العلميةُ التي تقومُ عليها تكنولوجيا ما بعدَ الإنسانيةِ يقوِّضُها القدرُ الكبيرُ من الوهمِ الذي يتضمَّنُه عالمُ ما بعدَ البشر، الذي هو حالياً، وربما للأبد، خياليٌّ أكثرَ منه حقيقي. في هذا الصدد، ما بعدَ الإنسانيةِ هي في جزءٍ كبيرٍ منها خيالٌ علميٌ أكثرَ منها علم. يتمُ إسقاطُ عددٍ من التخيُّلاتِ البشريةِ في العالمِ المُتخيَّلِ الذي تنمو فيه، كالرغبةِ في الكمالِ (الجسدي والنفسي والفكري) والقوةِ المطلقةِ والخلودِ، الأمورالتي تُكتَسَبُ بوسائلَ بشرية.

٣) تُظهِرُ ما بعدَ الإنسانيةِ نفسَها عمياءَ عن حدودِ التكنولوجيا في مواجهةِ شيخوخةِ الجسمِ البشريِ ككلٍ، والموتِ الذي يشكّلُ الأفقَ الحتميَّ للحياةِ البشرية. من ناحيةٍ أخرى، يُحرِزُ مشروعُ استبدالِ الأعضاءِ نتائجَ إيجابيةً عندما يتعلقُ الأمرُ بأجزاءِ الهيكلِ العظمي (الركبتين والكتفين والوركين...) أو القلبِ والدورةِ الدمويةِ (الصمامات والشرايين...)، لكنه يطرحُ أسئلةً حساسةً في حالةِ وهبِ الأعضاءِ حولَ ظاهرةِ الرفض. من ناحيةٍ أخرى، يمكننا أن نرى إلى أي حد، في العقودِ الأخيرة، تؤدّي السنواتُ المُضافةُ إلى متوسطِ العمرِ المتوقعِ إلى زيادةِ الإعاقاتِ والأمراضِ المتعلقةِ بتنكُّسِ الدماغِ (مرض النسيان "الزهايمر"، ومرض باركنسون، والخَرَف...) أو الطفرات الجينية ("السرطانات"...) التي يشجِّعُها عمرُ الخلايا وضعفُ قدرتِها على الحفاظِ على الذات، إضافةً إلى ضمورِ جهازِ المناعة. وتجدرُ الإشارةُ إلى أنَّ أمدَ الحياةِ المتوقَّع، والذي كان يرتفعُ طوالَ القرنِ العشرين، قد تباطأ في السنواتِ الأخيرةِ في البلدانِ المتقدمةِ (بسبب العواملِ البيئيةِ غيرِ المؤاتيةِ على وجهِ الخصوص)، وبدأ في الانخفاضِ في أجزاءٍ معينةٍ من العالم، وقد أدَّت جائحةُ "كوفيد" الأخيرة إلى تسريعِ هذه الظاهرة.

٤) بدلاً من تعزيزِ الإنسان، كما تدَّعي ما بعدَ الإنسانية، فإنها تُنقصُه لأنها تركّزُ بشكلٍ أساسي على أداءِ الجسدِ أو صفاتِه، وبالتالي تبتزُ من الإنسانِ جزءاً كبيراً من بُعدِه النفسي وكاملَ بُعدِه الروحي.

٥) بقدرِ ما تهدفُ ما بعدَ الإنسانيةِ إلى تحسينِ القدراتِ النفسيةِ والفكريةِ للإنسان، إلا إنها بشكلٍ أساسي تتعاملُ مع هذه القدراتِ على المستوى الكمّي، فيما تأثيرُها ضئيلٌ على المستوى النَّوعي بسبب بطبيعتِها التكنولوجية. إن فعاليةَ الاختيارِ التي يُزعَمُ تحقيقُها عن طريقِ الكمبيوتر، هي في الأساسِ مسألةُ تصنيفٍ واحتمالات، وتبقى في مجالِ القياسِ الكمّي. أما بالنسبةِ للوظائفِ الفكرية، فهي أيضاً تظلُّ في نطاقِ الحسابِ وتُحَسِّنُ فقط من جهةِ السرعةِ وكميةِ المعلوماتِ المعالجةِ والقواعدِ المنطقيةِ التي يتمُّ طرحُها في البداية، لكنها تفتقرُ إلى الذكاءِ والفهمِ أي إدراكِ معنى القِيَمِ والاستنادِ إليها.

٦) عندما يكون هدفُ ما بعدَ الإنسانيةِ الجودةَ، كما في حالةِ علمِ الوراثة، فإنها تقعُ في ممارساتِ تحسينِ النسلِ المشكوكِ فيها، وتعتمدُ خياراتُها على المعاييرِ الفرديةِ (كرغبةِ الوالدين أو خيالِهما) أو المعاييرِ الاجتماعيةِ (كالحاجة إلى المزيدِ من البناتِ أو المزيدِ من الصبيان، أو، كما رأينا في النازية، الرغبةِ في الحصولِ على عرقٍ نقي).

ليست هذه المعايير موضعَ تساؤلٍ من وجهةِ نظرِ الأخلاقِ وحسب، بل حتى أنَّها خارجيةٌ بالنسبةِ للشخصِ المعنيِّ الذي يتمُ التعاملُ معه على أنه مفعولٌ به.

٧) يتمثَّلُ أكبرُ ضعفٍ لدى ما بعدَ الإنسانيةِ وتعزيزِ الإنسانِ في تصوُّرِها أنها قادرةٌ على تحسينِ الإنسانِ وتعزيزِه فيما هي عاجزةٌ عن طرحِ عدةِ مشكلاتٍ وحَلِّها، كمشكلةِ معنى التَّحسينِ والتَّعزيزِ عندما يتجاوزان حدودَ الترميمِ العلاجيِّ أو الإصلاح، مشكلة قيمةِ هذا العملِ، وغالباً، مشكلة جدوى هذا العملِ وهي مشكلةٌ بسيطة.

٨) أخيراً، بصرفِ النظرِ عن حالةِ العلاجِ المذكورةِ أعلاه والخاصةِ جداً وغيرِ النمطية، تطرحُ ما بعدَ الإنسانيةِ مشكلةً تتعلقُ بالإيمانِ المسيحي. هذه الحركة، التي غالبًا ما تأخذُ شكلَ أيديولوجيا، يتمُّ وضعُها بالفعل، إن لم يكنْ ضدَ الدِّين، فعلى الأقلِ كبديلٍ (أو مُصطنعٍ غيرِ طبيعي ersatz) عن الدِّين، كما لطرحٍ أساسيٍ للمسيحيةِ بشكلٍ خاص، وهو السماحُ لنا بتجاوزِ حدودِ حالتِنا الحاليةِ (طبيعتِنا الساقطة)، وبخاصةً الحد الأعلى لهذه الحالةِ أي الموت. سيتَّضحُ هذا الكلامُ بشكلٍ غيرِ مباشرٍ في سياقِ ملاحظاتي التاليةِ التي ستركّزُ على كمالِ الإنسانِ وظفرِه كما تصورَتْهُ المسيحية، وبشكلٍ خاصٍ كما تصوَّرَه الآباءُ الروميُّون في تطويرِهم للأنثروبولوجيا المسيحية، لا سيما عقيدةِ تألُّهِ الإنسان (theôsis).

١. الحالة الفردوسية كحالةِ الإنسانيةِ المعياريةِ الأصلية

بالنسبةِ للأنثروبولوجيا الآبائية، ما يشكِّلُ بالأصلِ قاعدةَ الإنسانيةِ المثاليةِ هو الحالةُ الفردوسية، أي حالةُ آدمَ وحواءَ قبل خطيئتِهما. لقد تكشَّفَتْ هذه الحالةُ لنا جزئياً في الفصولِ الأولى من سفرِ التكوينِ وشروحاتِ آباءِ الكنيسة.

إن الحقيقةَ الأساسيةَ هي خلقُ الإنسانِ "على صورةِ الله ومثالِه" (تكوين ١:٢٦-٢٧) ، مما يمنحُ الإنسانَ كمالًا وجودياً معيناً، وعَظَمةً معينةً وكرامةً وقيمة. إذًا لا يوجدُ ما هو رديءٌ في الإنسانِ بحسبِ سفرِ التكوين: "وَرَأَى اللهُ كُلَّ مَا عَمِلَهُ فَإِذَا هُوَ حَسَنٌ جِدًّا" (تكوين ١:٣١). هذا يعني أن الإنسانَ هو حالةٌ هي أفضلُ الممكنِ في تلك اللحظةِ من وجودِه، وأنَّ الله، من جهتِه، قد منحَه كل ما يحتاجُه لإدراكِ معنى حياتِه.

لا يخبرُنا الكتابُ المقدسُ والآباءُ إلا القليلَ عن الحالةِ الأوليّةِ لجسمِ الإنسان، لكنهم جميعًا اتفقوا على أن لِجسمِ الإنسانِ عددًا من الصفاتِ الإلهيةِ بالمشاركة: الجمال، الذي أُعطيَ بالنعمةِ وارتبطَ بها طالما ظلَّ الإنسانُ الأولُ مُتحدًا بالله، وعدمُ الفسادِ وبالتالي غيابُ المرضِ والعجز، وعدمُ الانفعالِ وبالتالي عدمُ وجودِ الألم، والخلود. بحسبِ القديسِ غريغوريوس النيصّي والقديسِ مكسيموس المعترف، كان جسمُ الإنسانِ الأصليِّ مادياً ولكنْ من دونِ الكثافةِ والثخونةِ اللتَين له اليوم، وهكذا ستكون أيضًا حالةُ الجسدِ المُقام الذي يمكننا أن نعرفَه جزئياً مما يخبرُنا به الكتابُ المقدسُ عن جسدِ المسيحِ المُقام، الذي له القدرةُ على اختراقِ الأبوابِ أو الجدرانِ والدخولِ إلى مكانٍ مغلقٍ (راجع يوحنا ٢٠:١٩ و٢٦)، والقادرِ على الاختفاءِ فجأةً (راجع لوقا ٢٤:٣١)، أو الانتقالِ، أي التحركِ متحرراً من قيودِ المكانِ والزمان.

في نظرِ الآباء، تتجلى صورةُ الله في الإنسانِ قبلَ كلِّ شيءٍ في مَلَكاتِه الفائقة: عقلِه ومنطقِه وقدرتِه على تقريرِ المصيرِ المرتبطةِ بإرادتِه، والتي تنتجُ عنها قدرتُه على أن يكونَ حراً.

لا يميّزُ بعضُ الآباءِ بين الصورةِ والمثال، ولكنْ ابتداءً من القديسِ إيريناوس، صارَ هذا التمييزُ متداوَلاً: في

حين تُشكِّلُ الصورةُ البُعدَ البنيويَّ للإنسانِ وتنتمي إلى طبيعتِه، فإنَّ المثالَ يُشكّلُ بُعدَه الأخلاقيَّ والروحيَّ ويتميَّزُ بالفضائل.

على الرغمِ من أنَّ الفضائلَ مزروعةٌ مثل الجراثيمِ في الطبيعة، إلا أنَّ تحريكَها وتطوُّرَها يتعلَّقان بالشخصِ وميلِه (gnômè) واختيارِه (proairesis). تشكِّلُ الصورةُ بنيةً مستقرةً وغيرَ قابلةٍ للتصرف؛ أما المثالُ فعرضةٌ للتباينِ لأنَّ فيه درجات.

تتضمَّن الصورةُ جميعَ إمكاناتِ الطبيعةِ لتحقيقِ الشَّبَه (ومن وجهةِ النظرِ هذه، لا يفتقرُ الإنسانُ إلى أي شيءٍ ليصبحَ ما ينبغي أن يكونَ عليه)، لكن هذا الإنجازَ يفترضُ بشكلٍ متناسبٍ مساهمةَ النعمة، التي هي " الإضافةُ" الحقيقيةُ الوحيدةُ الضروريةُ لـ "كمال" الإنسانِ وتحقيقِ "هدفِه الإلهي".

خلافًا للرأي السائد، فإن الآباءَ الروميِّين لا يتصوَّرون الحالةَ الفردوسيةَ للطبيعةِ البشريةِ على أنها حالةٌ من الكمال: فالجسمُ البشريُّ وجميعُ مَلَكاتِ الإنسانِ لها حدودٌ مرتبطةٌ بحالتِه كمخلوقٍ وبخصائصِ جنسه. ككائنٍ مخلوقٍ، الإنسانُ نسبيٌ، والله وحدَه مطلق. مثلَ كلِّ المخلوقاتِ الأخرى، يحققُ الإنسانُ تعريفاً (definition) محدداً، والكلمةُ هذه مأخوذةٌ من اللاتينية finis، التي تعني الحدَّ أو المدى أو التخوم، والتي يُسميها مكسيموس المعترف logos وهي تحددُ جوهرَ الإنسان.

من وجهةِ النظرِ الروحية، يرى الآباءُ أن الإنسانَ في حالتِه الأصليةِ ليس في حالةِ كمالٍ بقدرِ ما هو في عمليةِ تكميل ديناميكية.

يشرحُ العديدُ من الآباءِ أن الخطيئةَ الأصليةَ أو خطيئةَ الجدَّين حدثَت بعد وقتٍ قصيرٍ من ظهورِ الإنسانِ لأنه كان طفلاً غيرَ متمرسٍ وغيرَ ناضج، وبالتالي كان عرضةً للإغراءِ بسهولة.

في كتابه Ambigua to John (كتاب الصعوبات إلى يوحنا) ، طوَّرَ القديسُ مكسيموس المعترف نقداً لمفهومٍ أوريجيني (مأخوذ من أوريجنس)، من أصلٍ غنوصي، مفادُه أنَّ الإنسانَ في الأصلِ كان في حالةِ شبهٍ إلهيةٍ، لكنَّه كان قابلاً للسقوطِ منها على إثرِ حركةٍ ابتداعيةٍ بسببِ الشبع. بالنسبة للقديس مكسيموس، ليست الحركةُ حقيقةً سلبيةً وأداةً وشاهداً على السقوط، بل هي وسيلةٌ إيجابيةٌ للتقدمِ، أُعطيَتْ في الأصلِ لإنسانٍ غيرِ كاملٍ ليتحركَ نحو الكمالِ الذي لم يكنْ وراءَه في مدينةٍ سماويةٍ ضائعة، بل أمامَه كمثالٍ يجب تحقيقُه: الصيرورة إلهاً بالنعمة.

تصوّرَ الكلمة قبل الدهور، وبالتالي قبلَ الخلق، مشروعَ تأليهِ الإنسانِ كغايةٍ تلائمُ طبيعتَه. وقد نُقشَ في خليقتِه في طبيعتِها، ويطلقُ عليه القديس مكسيموس اسم اللوغس (بـ ا وليس لـ: المترجم).

فمن ناحية، كما أنَّ لكلِ كائنٍ تعريفٌ أساسيٌ يضعُه في جنسِه وفي عنصرِه، فهذا اللوغوس هو التعريفُ الأساسيُ للإنسان. يمكننا أن نلاحظَ بشكلٍ عابرٍ أن هذا الأساسَ الإلهيَ لجوهرِ كل كائنٍ يمنحُه قيمةً مطلقةً ومقدسةً وغيرَ مادية، مما يجعلُ أي محاولةٍ بشريةٍ لتعديلِ جنسٍ حي بالكامل، أو كائنٍ معينٍ في طبيعتِه، غيرَ مقبولة.

يعبرُ هذا اللوغوس أيضاً عن العلاقةِ الجوهرية، في أصلِها وفي نهايتِها، بين الله والطبيعةِ البشريةِ وكلِ أقنومٍ

يمثلُها. كما يشكّلُ هذا اللوغوس لكلِ شخصٍ ما ينبغي أن يكونَه، أو معيارَ كمالِه. هذا يعني أن تطورَ الإنسانِ وتحقيقَه لا يمكنُ أنْ يتمَّ إلا في إطارِ علاقةٍ مع الله، وأن العلاقةَ مع الله متأصلةٌ في طبيعةِ الإنسانِ ذاتِها، وأنه بالنسبةِ للأنثروبولوجيا المسيحية لا يوجد شيءٌ اسمُه إنسانٌ نقي، أي إنسانٌ يختزلُ نفسَه. ولكي يصبحَ هذا الإنسانُ أكثرَ إنسانيةً يجب أن يصبحَ أكثرَ إلهيةً (سنتطرق إلى الطريقةِ لتحقيق ذلك).

تبدأ عمليةُ التألّهِ منذ البدايةِ بالحركةِ التي توجِّه الإنسانَ وتجعلُه يميلُ نحو الله، وأنْ يواكبَ الإنسانُ هذه الحركةَ بأسلوبِ حياةٍ يتوافقُ مع طبيعتِه (κατά φύσιν) ، وتتكوَّنُ أساساً من ممارسةِ الفضائلِ وفقاً لترتيبٍ حسنٍ ينسجمُ مع إرادةِ الله.

إن النموَّ الروحيَّ للإنسان، والذي من خلالِه يصبحُ أكثرَ انسجامًا مع الله، وعلى شبهِه أكثرَ فأكثر، هو العمليةُ الوحيدةُ التي يمكنُ من خلالِها تعزيزُ الإنسانِ وتكميلُه. يتحققُ هذا من خلالِ تآزرِ إرادةِ وجهدِ الإنسانِ مع النعمةِ الإلهيةِ التي بدونِها يبقى هذا الجهدُ بلا فائدةٍ ولا تأثير، إذ بدونِ موافقةِ الإرادةِ البشريةِ التي تظهرُ في الجهدِ المبذول، تبقى نعمةُ الله معلَّقة. في الواقع، لا يفرضُ الله مشيئتَه على الإنسانِ الذي خلقَه حراً في الأساس، ويريدُ أن يشاركَه الأشياءَ الصالحةَ الإلهيةَ التي يمنحُه إياها لتصبحَ ملكًا له، لا أشياء جيدةً مفروضةً من الخارج، إذ عندئذٍ لن تكون جيدةً حقاً بالنسبةِ له، على ما يشرحُ القديسُ غريغوريوس اللاهوتي.

٢. حالة الإنسان الساقط "الناقصة"

تضعُ الخطيئةُ الجديةُ حداً لهذه العمليةِ وتجعلُ الإنسانَ، لا رجلاً "عادياً" محروماً من "نمائِه" بسبب النعمةِ ومُختزلاً إلى "طبيعتِه الخالصة" كما يظنُ اللاهوتُ السكولاستيكي، وإنما تجعلُ الخطيئةُ الجديةُ الإنسانَ "ناقصاً" وحتى أقربَ إلى الحيوانِ منه إلى الإنسان، كما لا يترددُ بعض الآباءِ في القول.

جسدياً، يفقدُ الإنسانُ الصفاتِ التي أعطتها النعمةُ لطبيعتِه، أي اللاإنفعاليةَ وعدمَ الفسادِ والخلود؛ ويصبحُ عُرضةً للمرضِ والوهنِ والألمِ والموت. يكتسبُ جسدُه ماديّةً أكثرَ كثافة، يُرمزُ إليها في سفرِ التكوين بـ "الأقمصة الجلدية" (تكوين ٣:٢١).

بالتخلي عن أسلوبِ الحياةِ الفاضلةِ بما يتوافقُ مع طبيعتِه، يستسلمُ الإنسانُ للأهواءِ "غيرِ الطبيعية" التي هي نقيضُ الفضائل. في حين أنَّ الفضائلَ هي أشكالٌ مختلفةٌ من التعلُّقِ بالله، محددةٌ بنشاطٍ من كلِّ مَلَكاتِ الإنسانِ الموجهةِ نحو الله، فإن الأهواءَ هي الأشكالُ العديدةُ لارتباطِ الإنسانِ بذاتِه من ناحية، ومن ناحيةٍ أخرى، بالعالمِ الحسيِّ مُستقلاً عن الله، وفقًا لمظاهرِه فقط وبهدفِ الاستمتاعِ به. يلعبُ جسمُ الإنسانِ دوراً مهماً كوسيطٍ من جهةِ شكلَي التعلُّقِ هَذَين. المُتعةُ (التي تحلُ محلَّ الفرحِ الروحيِّ الأصلي) ، من الآن فصاعداً، تلعبُ دوراً أساسياً جنباً إلى جنبٍ مع الألمِ الذي يتبعُها حُكْماً: من ناحية، يصبحان مُحرِّكَين للأهواءِ (التي ينطلقُ البعضُ منها من البحثِ عن المتعةِ وينطلقُ البعضُ الآخرُ من محاولةِ تجنبِ الألم)، بينما من ناحيةٍ أخرى، يأخذان مكانَ الخيرِ والشرِ على التوالي كمعاييرَ للسلوكِ البشري (ما يُنتِج اللذةَ يُعتبَرُ خيراً، وما يُثيرُ الألمَ أو الاستياءَ يُعتبَرُ شراً) . يصيرُ الضميرُ الأخلاقيُّ منحرفاً. يُستَثمرُ ذكاءُ الإنسانِ وعقلُه في المادةِ من خلالِ

الحواس؛ يُصبحان خاليَين من الروحِ ومقسومَين ويفقدان نفسَيهما في تنوعِ الأشياءِ المادية. فالرغبة، إذ قد ابتعدَت عن الله، تصيرُ مشتتةً ومنفصلةً في الأشياءِ الحسِّية. ذاكرةُ الله تصبحُ ذاكرةَ العالم، مليئةً بآلافِ الأشياءِ عديمةِ الفائدة. يتطورُ الخيالُ في محاولةٍ للاستجابةِ للاحتياجاتِ الجديدةِ التي خلقَها الإنسانُ لنفسِه، والتي تعملُ على خلقِ أشياء مرغوبةٍ عندما لا تكونُ مُتاحةً (مما يؤدي، بالتعاونِ مع العقل، إلى اختراعِ التكنولوجيا) أو لإنتاجِ أوهامٍ لملءِ الفجوات. تدخلُ الإرادةُ في خدمةِ الأهواء - أو الذكاءِ الخاضعِ للأهواء- وتصيرُ متغرِّبة.

إن التناقصَ الذي يؤثّرُ على الإنسانِ على المستوياتِ الجسديةِ والنفسيةِ والفكريةِ والأخلاقيةِ والروحيةِ بشكلٍ خاصٍ يبدو كبيراً، لأن بعضَ الآباء، مثل القديسِ غريغوريوس النيصّي، يعتبرون أن الإنسانَ الذي فقدَ شبهَه بالله أصبحَ مثل "حيواناتٍ بلا إدراك". يرسمُ الآباءُ جميعاً صورةً مُفصلةً لإنسانيةٍ مريضةٍ وعاجزة.

تناقصُ الإنسانِ هذا لا يعني فقدانَ جوهرِه الإنسانيِّ أو فقدانَ تحديدِه الأساسي (الذي يُسميه مكسيموس المعترف "كلمتَه *logos"*)؛ يقولُ بعضُ الآباءِ في هذا الصددِ إنَّ صورةَ الله في الإنسانِ لا تتدمرُ بل تظلِمُ أو تُطمَس. يتكون هذا التناقصُ من تغييرٍ سلبي في نَسَقِ وجودِه (τρόπος ὑπαρξης) ، ويتحوّلُ إلى نشاطٍ يتعارضُ مع طبيعتِه (πάρα φύσιν)، ويضرُّ بكل مَلَكاتِه، على عكسِ ما تجدُه في سلوكِها الطبيعي بالتوافقِ مع الطبيعةِ (κάτα φύσιν). يتميزُ هذا التناقصُ أيضًا بفقدانِ صورةِ الله التي يجبُ تحقيقُها في ممارسةِ الفضائل. أخيراً، وهذا هو أسوأ الشرور، فهو يتوافقُ مع فقدانٍ للنعمةِ كنتيجةٍ لحقيقةِ أن الإنسانَ قد ابتعدَ طواعيةً عن الله الذي كان مصدرَ هذه النعمة.

عموماً، يحددُ الآباءُ خطيئةَ آدمَ في هذا الابتعاد، وهو ما يُفسَّرُ بأنَّه جهلُ الله - ليس مجردَ جهلٍ فكريٍّ وسلبي، بل طوعيٌّ وفعّال – وبأنَّه إغواءٌ بالمتعةِ الحسّيةِ (الحاصلةِ من خلالِ الحواسِ من الأشياءِ الحسّية) . يشددُ مكسيموس المعترف على دورِ محبةِ الذاتِ الأنانية (philautia - φιλαυτία)، وكما معظم الآباء، على دورِ الكبرياءِ المرتبطِ بمحبةِ الذاتِ ارتباطاً وثيقاً. يقول القديس مكسيموس إن خطيئةَ آدمَ تتكونُ من تأليهِ الذات، أي في الإرادة، بحسبِ وعدِ الشيطان، أن يكونَ "مثل الله" (راجع تكوين ٥:٣) وهذا بقوتِه الشخصية، من دونِ الله وخارجَ الله، بدلاً من أن يصيرَ إلهاً من خلالِ الله، لله، مع الله وفي الله.

الآن يبدو أن هذا ما نجدُه، مع استثناءاتٍ نادرةٍ جداً، في حركةِ ما بعدَ الإنسانية، التي تهدفُ إلى الاستغناءِ عن الله وتجدُ في الموارِدِ البشرية، العلميةِ والتقنيةِ فقط، الوسائلَ لبلوغِ كمالٍ ما في ممارسةِ جميعِ المَلَكاتِ البشريةِ ولتخطّي المحدودياتِ المتأصلةِ في الطبيعةِ البشريةِ القائمة. لم يعد الهدفُ هو العيشَ الأبديَّ في الله، بل التمتعَ بجسدِ الإنسانِ ومَلَكاتِه ضمنَ حدودِ العالمِ المحيطِ به.

٣. محاولات الترميم الفاشلة في العهد القديم

إن نتائجَ خطيئةِ آدمَ وحواء، مطبوعة في الطبيعةِ البشريةِ التي كانا ممثلَيها الأولَين، تنتقلُ إلى أحفادِهما من خلال الإنجابِ البيولوجي (أي الجيني)، وتتأكدُ وتتطورُ بخطاياهم وأهوائِهم.

يوفرُ قانونُ العهدِ القديمِ للإنسانِ وسائلَ التصحيحِ الأخلاقيِّ والروحيِّ الذي حققَه أحيانًا الأبرارُ والأنبياءُ إلى

حدٍ نبيلٍ جداً.

ومع ذلك، تظلُّ الطبيعةُ البشريةُ مريضةً وجودياً، ويظهر عددٌ من الآباءِ أن الأنبياءَ يأسفون لهذا الأمرِ لكنَّهم يبقَون غيرَ قادرين على علاجِه. أحدُ الأمثلةِ على ذلك هو كلماتُ إرميا ، " لقد شفينا بابل ولم تشفَ"(إرميا ٢٨: ٩). يلاحِظُ أوريجانوس أن جميعَ العلاجاتِ المقدَّمةِ كانت أقلَّ بكثيرٍ مما يتطلبُه شفاءُ البشرية.

٤. الإصلاح والتطوير بالمسيح

يؤكدُ نفسُ الآباءِ أن المسيحَ وحده، لأنه كان قادراً، بمجيئِه بين الناس، على تقديمِ علاجٍ يتناسبُ مع أمراضِهم؛ ولكنْ كان عليه أن يكون إنساناً تاماً أيضاً، لأنه بحسبِ كلماتِ القديسِ غريغوريوس النزينزي، فإن ما لا يُتَّخَذُ لا يمكنُ شفاؤُه أيضاً.

المسيحُ، بقوةِ لاهوتِه، حققَ في الطبيعةِ البشريةِ التي اتخذَها بمُجملِها (باستثناءِ الخطيئة) ، شفاءَ البشريةِ جمعاءَ (أي جميعَ البشرِ في كلِ العصور) التي تختصرُها تلك الطبيعة. عادةً ما يُحدَّدُ هذا الشفاءُ بكلمةِ "الخلاص"، ولكنْ فلنتذكرْ أن الكلمةَ اليونانيةَ (σώζειν يُخلِّص) تعني أيضًا الشفاء. ومع ذلك، غالباً ما يعبِّرُ الآباءُ القديسون عن هذا الشفاءِ بالتَّعافي (مقارنة بالانحرافاتِ التي أدخلتها الخطيئةُ والتي تتجلَّى بالأهواء) والاستعادةِ (إلى حالةِ الإنسانِ الأصلية).

الخلاصُ هو أيضاً انتصارٌ على قوى الشرِ والخطيئةِ والفسادِ والموتِ التي تمارَسُ على الإنسان.

إلى جانبِ الخلاص (Σωτηρία) ، يلحظُ الآباءُ القديسون التألُّه (theôsis) ، والذي يتمثّلُ في أنّ الإنسانَ يندمجُ مع الله ويصبحُ إلهاً بالنعمة، بحسبِ الدعوةِ التي كلَّفَه بها الله منذ البداية.

باعتمادِ مفهومِ التعزيز، يصيرُ ممكناً القولُ بأن الخلاصَ يجلبُ "تحسيناً" على شكلِ إصلاحِ ما هو تالِفٌ، وتصحيحِ ما هو منحرف، واستعادةِ ما هو مشوَّه، وشفاءِ ما هو مريض، رفعِ ما هو ساقط، تحصينِ ما هو ضعيف، إحياءِ ما هو ميت. من ناحيةٍ أخرى، يمكنُ تصوّرُ التأليهِ على أنه "ازدياد"، بقدرِ ما يستطيعُ الإنسانُ أن يتلقّى الصفاتِ الإلهيةَ بالنعمةِ التي لا يمتلكُها ولا يستطيعُ هو نفسُه اكتسابَها بطبيعتِه، لأنها تتجاوزُ قوتَه الخاصةَ من جهةِ كيفيةِ اكتسابِها، وتتجاوزُ حدودَ جوهرِه من حيث طبيعتِها.

٥. التألّه

نادراً ما يُشارُ إلى موضوعِ التألّهِ (theôsis) في التقليدِ اللاتيني، لكنه يحتلُ مكاناً أساسياً في لاهوتِ الآباء الروميين. ليس هذا المفهومُ حديثَ الظهور، لأنه موجودٌ بالفعلِ في كتاباتِ الآباءِ الرسوليين. إنه يزدادُ وضوحاً عند خلفائِهم المباشرين. وهو يتطورُ بين الإسكندريين الأوائلِ ويصبحُ أكثرَ دقةً بين مُعلمي الكنيسةِ العظماءِ الذين يحاربون الآريوسيةَ وأجيالَها القادمة. هذا الموضوعُ موجودٌ في القرنِ السابعِ في لبِّ التوليفِ العظيمِ الذي وضعَه مكسيموس المعترف الذي غالباً ما يوصَف بِـ"معلمِ التألُّه" ، إذ يوضحُه من وجهةِ نظرٍ ماورائيةٍ ومسيحيةٍ وأنثروبولوجيةٍ وروحية. كما أنه موجودٌ في التلخيصِ الآبائيِّ العظيمِ الذي قامَ به القديسُ يوحنا

الدمشقي في القرنِ الثامن، قبل أن يجدَ تحديداتٍ جديدةً في القرنِ الرابعَ عشر مع التطوراتِ اللاهوتيةِ مع القديسِ غريغوريوس بالاماس.

لعقيدةِ التألّهِ أساسٌ كتابيٌّ متينٌ في العهدِ الجديد، يظهرُ في استمرارِ تعليمِ العهدِ القديم. تظهرُ هذه الاستمراريةُ بشكلٍ أوضح في يوحنا ٣٤:١٠، حيث يأخذُ المسيحُ الصيغةَ التي في (مزمور ٦:٨١): "لقد قلتُ، أنتم آلهة". يعلنُ المزمور نفسُه في آيتِه الأولى: "الله قائم في مجمع الآلهة. في وسط الآلهة يقضي". يتردد صدى هذه الصيغِ في تأكيدِ الرسولِ بولس المتكررِ مرتين: "لأَنَّنَا أَيْضًا ذُرِّيَّتُهُ. فَإِذْ نَحْنُ ذُرِّيَّةُ اللهِ..." (أعمال ٢٨:١٧-٢٩). لا تمثلُ هذه الصيغُ واقعاً حقيقياً بل واقعاً مُحتمَلاً، كما عبَّر عنه قولُ الرسولِ بطرس أنه من خلالِ مجدِ الله وقوةِ عملِه " اللَّذَيْنِ بِهِمَا قَدْ وَهَبَ لَنَا الْمَوَاعِيدَ الْعُظْمَى وَالثَّمِينَةَ، لِكَيْ تَصِيرُوا بِهَا شُرَكَاءَ الطَّبِيعَةِ الإِلهِيَّةِ"(٢ بطرس ٤:١). هناك صيغٌ أخرى تشهدُ على الاندماجِ في المسيح: " لأَنَّ كُلَّكُمُ الَّذِينَ اعْتَمَدْتُمْ بِالْمَسِيحِ قَدْ لَبِسْتُمُ الْمَسِيحَ" (غلاطية٢٧:٣) ؛ " أَحْيَا لاَ أَنَا، بَلِ الْمَسِيحُ يَحْيَا فِيَّ" (غلاطية ٢٠:٢).

يجب أيضًا ربطُ موضوعِ التألّهِ بموضوعِ خلقِ الإنسانِ على صورةِ الله ومثالِه، الذي تحدثْنا عنه سابقاً (راجع تكوين ٢٦:١-٢٧ ؛ حكمة ٢٣:٢)، وموضوعِ تبنّي الله للإنسان (تثنية ١:١٤؛ مزمور ٦:٨١؛ـ ٢٧:٨٨-٢٨ ؛ حكمة ٢:١٨؛٥:٥؛ متى ٩:٦؛ رومية ١٤:٨-١٧؛ غلاطية ٢٦:٣؛٤:٤-٧)، وموضوعِ الاقتداءِ بالله حتى بلوغِ درجةِ كمالِه (راجع متى ٤٨:٥)، والوعدِ بحالةٍ مستقبليةٍ يشاركُ فيها المؤمنون في عدمِ الفسادِ والخلودِ الإلهيَّين (راجع حكمة ٢٣:٢؛ ١٥:٥-١٦؛ ١٨:٦؛ ١ كورنثوس ٥٣:١٥)، حيث يجدُ الكمال في معاينةِ الله الذي سيشبهُه بنفسِه (١يوحنا ٢:٣)، وحيث سيتمجَّدُ في نورِه (راجع متى ٤٣:١٣).

من المؤكدِ أن بعضَ هذه الموضوعاتِ كانت موجودةً بالفعلِ في تياراتٍ معينةٍ من الهيلينيةِ (وهي التي سبَّبَت الشكَّ بأن الآباءَ الروميين قد تأثروا بها): فكرةُ شبهِ الله، والمثلِ الأعلى للإنسانِ في الكمالِ الإلهي، وتحقيقِه. بالاقتداءِ بالله، والتأكيدِ على إمكانيةِ مشاركةِ الإنسان، ليس في الأشياءِ الإلهيةِ الحسنةِ وحسب، بل أيضاً في الصفاتِ الإلهيةِ (لا سيما التمتعِ بالخلود)، وأن معرفةَ الله تمزجُ العارفَ بالمعرفة...

ومع ذلك، أبعدَ من هذه المقارنات، هناك اختلافاتٌ عميقة، حيث يتم تأكيدُ خصوصيةِ التصوُّرِ المسيحي وحيث يتم تبريرُ الواقعِ الكاملِ للتألّهِ الذي يُنَصَّبُ كحقيقةٍ مطلقةٍ للوجودِ المسيحي.

في صميمِ المفهومِ المسيحي للتألّهِ توجدُ حقيقةُ تجسُّدِ الكلمة، ابن الله، الذي يخضعُ له كلُّ شيء. بحسبِ الصيغةِ التي استخدمَها معظمُ الآباءِ الروميين: "صارَ الله إنساناً ليصيرَ الإنسان إلهاً" ، مما يعني أن تألّهَ الإنسانِ هو سببُ وجودِه والهدفُ النهائيُّ للتجسد، ولكنْ، أيضاً التجسدُ هو الذي يجعلُ التألّهَ ممكناً.

من بعد هذا، يكشفُ مثالُ التألّهِ المسيحي عن خصوصيتِه. إنَّ التمثّلَ بالله، الذي يتحققُ بالاقتداءِ بالله في الفضائل، هو التمثّلُ بالمسيحِ الذي يتحققُ بالاقتداءِ بالمسيحِ، مصدرِ كل فضيلةٍ ومثالِها. إن الاشتراكَ في الأشياءِ الإلهيةِ الصالحةِ هو المشاركةُ في المسيحِ بالروح القدس. عدمُ الفسادِ والخلود، وهي الصفاتُ الأخرويَّةُ للإنسانِ المخلَّصِ والمتألّه، ليست خصائصَ طبيعتِه بل هي هباتٌ من الله. إلى ذلك، هذه الخصائصُ لا تقبلُها النفسُ فقط بل الجسدُ أيضاً (وهو الجسدُ الذي يمقتُه التقليدُ الأفلاطوني والتياراتُ الغنوصية) ، وذلك بنعمةِ

المسيحِ الذي تجسدَ (أي أنه لم يتّخذْ نفْساً وحسب، بل وجسداً بشرياً أيضاً) ، قد تغلّبَ على الفسادِ والموتِ وقامَ من بين الأموات، مما سمحَ لجميعِ البشرِ بالمشاركةِ في خيراتِ تدبيرِه الخلاصي.

إن التحديدَ بأن "بالنعمة" يصيرُ المسيحي "المُكَمَّل" إلهاً هو أمرٌ أساسيٌ ووارِدٌ عند جميعِ الآباء.

من جهة، لا يستطيعُ الإنسانُ أن يحققَ تألُّهَه بنفسِه: فهذا يفوقُ قوتَه، لأن الإنسانَ لا يستطيعُ أن يمنحَ نفسَه حالةً خارجةً عن طبيعتِه (هذا اختلافٌ آخرُ مع الفلسفاتِ الوثنيةِ التي اعتبرَت، في الغالب، أن النفسَ كانت إلهيةً بطبيعتِها، ورأتْ في التألّهِ إنجازاً لحركةِ جُهدِها للتطهُّر). وهكذا فإنَّ التألُّهَ يتحققُ بالقوةِ الإلهيةِ وحدَها (أو النشاطِ الإلهي، الموصوفِ بأنه "نعمة" عندما يعملُ للناس). إن الإنسان، بانثنائِه عن ممارسةِ قوةِ مَلَكاتِه وبتخلّيه الوجداني عن نفسِه، يفتحُ نفسَه بحريةٍ لعملِ هذه القوةِ الإلهيةِ التي توحّدُه مع الله وتحوِّلُه إلى إلهٍ بالنعمة.

من جهةٍ أخرى، فإن تأكيدَ الألوهةِ بالنعمةِ (بعض الآباء، كالقديس غريغوريوس اللاهوتي والقديس مكسيموس المعترف، قالا أيضاً: "بالمشاركة" أو "بالتكوين" بمعنى أنها حالةٌ أسَّسَها الله) ، يسمحُ للمرءِ بأن يؤكّدَ أن الإنسانَ المؤلَّهَ لا يصيرُ أبداً إلهاً بطبيعتِه أو جوهرِه، بل يبقى كائناً بشرياً وشخصاً إنسانياً. وهكذا ينأى الآباءُ بأنفسِهم عن مفاهيمِ تعددِ الآلهةِ أو الاندماج (ما لا ينطبقُ على التياراتِ الفلسفيةِ أو الدينيةِ القديمةِ التي طورَت أيضاً موضوعَ التألّه).

في التألّه، حيث يتحولُ الإنسانُ فعلاً، حيث يصبحُ حقاً إلهاً ببلوغِ حالةٍ إلهية، يبقى مع ذلك إنساناً. هنا لدينا مفارقةٌ حاولَ بعضُ الآباءِ حلَّها. بتمييزِه بين تعريفِ الطبيعةِ أو الجوهرِ وطريقةِ الوجود، أوضحَ مكسيموس المعترف أن الإنسانَ المتألّهَ يظلُّ كما هو بحسبِ الأول (بمعنىً آخر، يحافظُ على ما يُعرِّفُ كيانَه أساساً) ولكنه يتحولُ بحسبِ الثاني (بمعنىً آخر، يصلُ إلى حالةٍ أخرى أو طريقةٍ أخرى لوجوده). يعبّرُ العديدُ من الآباءِ عن هذا من خلالِ استعارةِ صورةِ الحديدِ المُحمّى بالنار، والذي يكتسبُ صفاتِ النار (الحرارة، اللمعان) فيما يبقى حديداً.

باستخدامِ مصطلحاتِ التعزيز، يمكننا أن نقولَ أن هناك "كمالاً" و "ازدياداً" حقيقيين للإنسانِ، يرفعانِه من حالتِه الطبيعيةِ ويذهبان إلى أبعد من ذلك لإضفاءِ الصفاتِ الإلهيةِ عليه. من وجهةِ نظرٍ معينة، هناك تجاوزٌ للإنسانيةِ وحدودِها الطبيعية؛ ولكن من وجهةِ نظرٍ أخرى، يُحترَمُ جوهرُ الإنسان، ولا يُعدَّلُ تعريفُه الأساسي، وهو ما يشكلُ أولَ اختلافٍ مقارنةً بأغلبيةِ نظرياتِ ما بعدَ الإنسانيةِ التي تهدف، بطريقةٍ تقنيةٍ أو جينيةٍ، إلى خلقِ كائنٍ بشريٍ مختلفٍ تماماً، كائنٍ ذي طبيعةٍ أو جوهرٍ آخر (ومن هنا يطلقُ أحياناً اسمُ "ما بعد الإنسانية" على هذه النظريات)، ويُعطى اسم "سايبورغ" لهذا الكائنِ ذي الطبيعةِ الأخرى، الذي والداه هما علومُ الوراثةِ (genetics) والرَّجُلُ الآلي (robotics) والكمبيوتر (computer science).

كما ذكرنا، نكتسبُ نحن البشر نعمةَ الألوهيةِ من خلالِ تدبيرِ المسيحِ الخلاصيِ الذي وحَّدَ في شخصِه الطبيعةَ البشريةَ بالطبيعةِ الإلهية، وحوّلَ طبيعتَنا وحفظَها وألّهَها بقوةِ لاهوتِه. ينالُ الناسُ نعمةَ الخلاصِ والتألُّهِ هذه من خلالِ تطعيمِهم في جسدِ المسيح، أي بأن يُصبحوا أعضاءً في الكنيسة. يتمُّ تلقّي نعمةِ الألوهيةِ في

"الأسرار" (أو الأسرارِ الأساسية) - المعموديةِ والميرونِ والشركةِ الإفخارستية - حيث يتقبّلُ المؤمنون المسيحَ نفسَه الذي يتغلغلُ في نفوسِهم وأجسادِهم.

ومع ذلك، على المسيحي أن يتملّكَ هذه النعمةَ وأن يستوعبَها شخصياً عن طريقِ اتحادِه بالمسيحِ المُتَّحدِ به، وهذا من خلال عيشِ حياةٍ وفقًا للمسيح. ويتحققُ ذلك بعملِ مشيئةِ الله، وممارسةِ وصاياه، ومبادئِ الحياةِ التي تسمحُ للإنسانِ بالتطهّرِ من الأهواءِ والاقتداءِ بالمسيحِ من خلالِ العيشِ على أساسِ الفضائلِ حيث المسيحُ هو النموذجُ والمصدرُ والجوهر.

يتحققُ التألّهُ تدريجياً في المسيحِ بالروح القدس. يصرُّ آباءٌ كثيرون على الدورِ الأساسي الذي يلعبُه الروحُ القدس في التألّه: فهو الذي يستوعبُ المؤمنين في المسيحِ ويوحّدُهم مع الآب.

لأن الإنسانَ هو نفسٌ وجسدٌ لا ينفصلان، يتألّهُ المسيحيُّ في نفسِه وجسدِه. بحسبِ صيغة القديس مكسيموس المعترف الذي يلخّصُ التعليمَ الآبائي جيداً، "سيبقى الإنسانُ بكليّتِه إنساناً في النفسِ والجسد، بسببِ طبيعتِه، ولكنه سيصبحُ إلهاً بالكليّةِ في النفسِ والجسدِ بفضلِ نعمةِ وبهاءِ مجدِ الله المبارك، الممنوحِ بالكليّة له، ولا يمكنُ تخيُّلُ أي شيءٍ يفوقُه روعةً أو سمواً".

يسمحُ التألّهُ للإنسانِ بأن يتفلّتَ من القوانينِ التي تحكمُ هذا العالم، ولا سيما القراراتِ الماديةِ والنفسيةِ والاجتماعية. يشددُ القديس مكسيموس المعترف بشكلٍ خاصٍ على حقيقةِ أن الإنسانَ المتألّهَ يتجاوزُ تصنيفاتِ المكانِ والزمان.

مع ذلك، يجبُ أن نلاحظَ أن المسيحيَّ المتقدِّسَ يمكنُه فقط أن يتلقّى أولى ثمارِ الخلاصِ والتألُّهِ هنا على الأرض، ولكنَّه سيحصلُ على كمالِها فقط في نهايةِ الزمانِ وفي الحياةِ الآتية.

يمكنه أن يختبرَ تحولاً روحياً كلياً هنا أسفل في خبرةِ معاينةِ الله، وهي ذروة. لكنَّ هذه الخبرة، بالرغم من أنها قابلةٌ للتكرار، تظلُ قصيرةَ العمر.

من ناحيةٍ أخرى، يظلُ الإنسانُ في جسدِه خاضعاً لتقلباتِ العالمِ الساقط. إذا استطاعَ الهروبَ روحياً، بنعمةِ المسيح، من قبضةِ الألم، من جبروتِ قوى الشر، من الخطيئةِ والموت، فلن يستطيعَ الهروبَ جسدياً من الألمِ نفسِه، من الفسادِ والموت.

يمكنه بالتأكيدِ إلغاءُ المعاناةِ بأشكالِها الثانويةِ والتخفيفِ منها إلى حدٍ ما في أشكالِها الكبرى؛ يمكنُه علاجُ عددٍ معينٍ من الأمراضِ التي تصيبُه أو يحميَ نفسه منها؛ يمكنُه الحصولُ على أطرافٍ اصطناعيةٍ لتخفيفِ بعض الإعاقات؛ ويمكنه أن يطيلَ مدةَ حياتِه إلى حدٍ ما؛ وكما أوضحتُ في كتابي "لاهوت المرض"، لم تعارض المسيحيةُ مثل هذه الإجراءاتِ فحسب بل شجّعتْها. لكن الفكرة، التي طوّرَتْها حركةُ ما بعدَ الإنسانية، والتي مفادُها أنه يمكنُ استبدالُ جميعِ الأجزاءِ الفاشلةِ من جسمِ الإنسانِ إلى أجلٍ غيرِ مُسمى، وإلغاءِ كلِّ المعاناة، وإلغاءِ حدودِ الموتِ إلى أجلٍ غيرِ مُسمى، هي فكرةٌ خادعةٌ تماماً من وجهةِ نظرِ اللاهوتِ المسيحي.

في مواجهةِ هذه الحدودِ التي لا يمكنُ تجاوزُها للحياةِ الجسديةِ في العالمِ الساقط، فإن الروحانيةَ المسيحيةَ قد زوَّدَت المسيحيَّ بالوسائلِ الروحيةِ حتى لا يكون، على المستوى الروحي، الذي هو أمرٌ أساسيٌ في مطلقِ

الأحوال، خاضعاً لقوةِ الألمِ والفسادِ والموت.

قبل اكتمالِ تدبيرِ المسيحِ الخلاصي، لم تكنْ قوةُ الموتِ تُمارَسُ فقط من خلالِ تشكيلِ نهايةٍ حاسمةٍ للحياة، بل من خلالِ الخوفِ الذي توحي به هذه النهاية. في هذا الصدد، طرحَ ثيودور الموبسويستي ويوحنا ذهبيُ الفم فكرةَ أن الإنسانَ قد طورَ كلَ المشاعرِ الشريرةِ كمحاولةٍ للهروبِ من الموت. وبنفسِ الطريقة، فإن الألمَ يمارِسُ التسلطَ على الإنسان، ويتميّزُ على وجهِ الخصوصِ بالقدرةِ على إبعادِه عن الله أو تدميرِ حياتِه الداخلية. قبلَ ضمانِ عدمِ الفسادِ والخلودِ في العالمِ الآتي للناس، فإن انتصارَ المسيحِ على الألمِ والموتِ في آلامِه وموتِه على الصليبِ منحَهم، إذا اتَّحدوا به ونالوا نعمتَه، انتصاراً روحياً على الألمِ والموت، حتى يفقدَ الألمُ والموت، في الحياةِ الحاضرة، "شوكتَهما"، كما يقولُ الرسولُ بولس (راجع ١كورنثوس ٥٥:١٥).

يمكنُ أن يكتسبَ المرضُ والألمُ والتجاربُ ومحنُ الوجودِ البشري المختلفةُ معنىً وقيمةً إيجابيين، مما يساعدُ الإنسانَ على أن يتشكّلَ ويتقدمَ روحياً، إذا ما تمَّ تقبُّلها في المسيح. وبوجهٍ عام، فإن الضعفَ الذي يحتقرُه أولئك الذين يصوِّرون قدرةَ الإنسانِ المُطلقة كمثال، يصبحُ بالنسبةِ للإنسانِ الحالةَ التي تتجلّى فيها قوةُ الله بشكلٍ أفضل (راجع ٢ كورنثوس ١٢:٧-١٠) . هذا التجلّي لنتائجِ السقوطِ هو أيضاً جزءٌ مهمٌ من التعزيزِ والتكميلِ والازديادِ الذين تقترحُهم المسيحيةُ في الحاضرِ الذي نعيشُه وبوسائلَ في متناولِ الجميع.

خاتمة

في الختام، أودُ أن أشيرَ إلى أنَّ تيارَ ما بعدَ الإنسانية، على مستوى الكون، يقدّمُ نفسَه كبديلٍ مُتدهرنٍ وإنسانويٍّ وماديٍّ عن المشروعِ المسيحي لتجاوزِ حدودِ طبيعتِنا الحالية. إنه (ما بعد الإنسانية) يجسِّدُ في عصرِنا أسطورةَ بروميثيوس، وإذ يُفهَم في إطارِ الأنثروبولوجيا المسيحيةِ التي حدَّدتُها للتو، فإنه يعيدُ إنتاجَ خطيئةِ آدمَ في رغبتِه في أن يكونَ كائناً كاملاً و مطلَق القوة، وبعبارةٍ أخرى إلهاً خارجَ الله وبدون الله، بقدراتِه وقوتِه الجسديةِ والفكرية.

على الرغمِ من أنَّه من الممكن، كمسيحيٍّ في إطارِ أخلاقياتٍ تحترمُ الإنسان، دعمُ هذا التعزيزِ في أهدافِه التصالحيةِ في ما يتعلّقُ بالأمراضِ والعاهات (والتي تتحققُ بشكلٍ طبيعي، من دون دعمِ أي عقيدة، عن طريقِ الطبِ والتقنياتِ التي يستخدمُها) ، إلا أنَّه من غيرِ الممكنِ دعمُ مشروعٍ ما بعدَ الإنسانية في إرادتِه خلقَ إنسانٍ جديدٍ إلى حدٍ كبيرٍ منزوعِ الإنسانية، خاضعٍ لأهدافٍ تحددُها الأنانيةُ الفرديةُ التي تنبعُ مما نسمِّيه الأهواء، أو من المصالحِ الجماعيةِ للمجموعاتِ الاقتصاديةِ (التي تبيعُ أو تستغلُ التقنياتِ المنفذة) ، أو من خلالِ الأيديولوجيات أو الإنتاجاتِ الخياليةِ التي تحاولُ بأوهامِها، مع ثمنٍ من التخيلاتِ الخطيرةِ وخيباتِ الأملِ الجسيمة، تحقيقَ مثالِ الكمالِ الذي تقترحُه المسيحيةُ في مجتمعاتِنا الدهرية، مع الأسف، بشكلٍ خجولٍ فقط.

تعليق حول ذكر الأسماء على الذبيحة

من الكنيسة الروسية خارج روسيا

نقلتها إلى العربية أسرة التراث الأرثوذكسي

أصدر الأسقف لوقا، من الأبرشية الشرقية في أميركا، من الكنيسة الروسية خارج روسيا، البيان التالي إلى أبناء رعيته:

الأخوة والأخوات المحبوبون

لقد بلغنا أن من آثار التجديد والمسكونية على المؤمنين الأرثوذكس في أمريكا، وجودكهنة يذكرون المسيحيين غير الأرثوذكس في القداس وفي التهيئة للقداس الإلهي، على الذبيحة. في مقال نُشر على مدونة "الإيمان القديم"، تبرّر هذه الممارسة الشاذة بأن كتب الخدمة الليتورجية التي من الآباء القديسين حول هذا الموضوع هي "...مجلدات مغبرة وأحيانًا مشكوك فيها..."، وبالتالي تحتاج إلى إعادة النظر فيها بمزيد من التحديث في التفسير. لقد طلبت من الأب جون بوديكر، الأستاذ في معهدنا الإكليريكي، أن يعلّق على هذا الأمر.

+ الأسقف لوقا

دير الثالوث القدوس

ذكر الأسماء في القداس الإلهي

الكاهن جون بوديكر

في القداس الإلهي، يذكر المؤمنون الأرثوذكسيون بانتظام أحباءهم الأحياء والراقدين عن طريق تقديم خبز التقدمة (قربانة) مع الأسماء ليقرأها الكهنة على المذبح في وقت التقدمة. خلال التقدمة، يقوم الكاهن باقتطاع جزء من القربانة عن كل واحد من المسيحيين الأرثوذكسيين الأحياء أو الراقدين الذين طُلب منه ذكرهم، ووضع الجزء على الصينية التي عليها الحَمَل، أي الخبز الذي سوف يتحوّل إلى جسد المسيح، جنباً إلى جنب مع أجزاء أكبر حجماً لذكر والدة الإله ومختلف طغمات القديسين في السماوات.

لقد رأى الآباء القديسون الصينية كصورة للملكوت السماوي والكنيسة حيث يملك ربنا مع جميع قديسيه. لهذا السبب، لم تُدرِج الكنيسة بين مَن تذكرهم على التقدمة سوى الأشخاص المؤهَّلين لتلقي أسرار جسد ودم المسيح المقدسين، والذين يترجّون أن يكون لهم نصيب في الملكوت السماوي. لذلك، فيما علينا بالتأكيد أن نصلّي من أجل أحبائنا الذين هم خارج الكنيسة، إلا أننا في القداس الإلهي لا نذكر إلا الأرثوذكس الأحياء والراقدين.

في هذا الخصوص، يقول أحد أعظم اللاهوتيين الليتورجيين في تقليد كنيستنا، أبونا في القديسين سمعان التسالونيكي، ما يلي: "لا يوجد مكان هنا على الصينية لغير المؤمنين، ناهيك عن غير الأرثوذكس. 'أي شركة

للنور مع الظلمة؟' (٢كورنثوس ١٤:٦) إذ كما يقول الكتاب، ستفرز الملائكة الشر من بين الأبرار. لذلك ليس من حق الكاهن إطلاقاً أن يقدِّم قرباناً عن مخلوق غير أرثوذكسي أو أن يذكره؛ ولا يجوز له أن يفعل ذلك للخاطئين علانية وغير التائبين. لأن التقدمة هي لإدانتهم، تماماً كما هي لغير التائبين الذين يتناولون من الأسرار الرهيبة، كما يقول بولس الإلهي".

إن الجزء العائد للشخص الذي تمّ ذكره عَلَى نَحْوٍ خاطِئ في التقدمة قبل القداس، من خلال وضعه بالقرب من الحمل، الذي سوف يصير المسيح، وعلى الصينية التي تصوّر الملكوت السماوي، هو مثل ذلك الرجل الذي سعى للدخول إلى وليمة عرس العريس السماوي بدون لباس العرس المناسب ولذا طُرِد. وليس هذا فقط، ولكن كما يشير القديس سمعان، الجزء الذي يرفعه الكاهن "يضعه قرب الحمل الإلهي، وعند استحالة الخبز إلى جسد المسيح، يشترك هذا الجزء على الفور بالتقديس. ويُوضَع هذا الجزء في الكأس المقدّسة، فيتّحد بدم المسيح المقدس ويمنح النعمة الإلهية إلى النفس التي من من أجلها رُفع هذا الجزء. تتحقق على هذا المنوال شركة عقلية بين الإنسان والمسيح. فإذا كان هذا الإنسان ممن يعيشون بتقوى، أو ممن أخطأوا وتابوا، فإن نفسه تقتبل شركة الروح القدس بحال غير منظورة" [النص من كتاب "تفسير القداس الإلهي" للأب المتوحد غريغوريوس، الجبل المقدس، تعريب الشماس سلوان موسي، منشورات دير البلمند، ١٩٩٩]. هنا مرة أخرى، يجب أن نتذكر تحذير القديس بولس بشأن مخاطر سوء تناول القربان المقدس (١كورنثوس ٢٧:١١-٣٢) وأن ندرك أنه ليس من المناسب أن نذكر في التقدمة أولئك الذين، إما بسبب كونهم خارج الكنيسة أو لأنهم يعيشون في خطيئة من دون توبة، لن يكونوا بأنفسهم مستحقين للتناول من الكأس في القداس الإلهي، لو أنّهم حاضرون.

Source: A Note on Commemorations at the Divine Liturgy. Priest John Boddecker. Orthodox Life. Ecclesiology. June 14, 2022. https://orthodoxlife.org/ecclesiology/against-commemoration-heterodox/

تعقيب

الأب أنطوان ملكي

لماذا نشرُ هذا التعليم؟ لأننا في الكنيسة الأنطاكية نعرف هذه الممارسة حيث يذكر بعض الكهنة كل الأسماء التي تَرِدهم. أحد هؤلاء الكهنة برر ذلك بأنه يذكر مَن يطلب منه أبناء رعيته ذِكرَه ويترك لله تحديد مَن يتذكّر. هذا الجواب تسخيف مريع للكهنوت، إذ لا يعود الكاهن قناة للنعمة بل خادماً اجتماعياً يلبّي طلبات.

تقع المسؤولية هنا بالدرجة الأولى على المطارنة وبالدرجة الثانية على الكهنة وأخيراً على الشعب. فالمطارنة هم المسؤولون عن التعليم، ولكنهم في هذا الموضوع، كما في المسكونيات بشكل عام، لا يعلّمون وبالتالي يتركون الكهنة والشعب يصارعون ويتصارعون. فالكاهن إما يرفض أن يذكر غير الأرثوذكسيين فيدخل في مواجهة مع رعيته تؤدّي إلى أزمات لكون الشعب في غالبيته لا يعرف الصحيح، أو يقبل الكاهن فتكون خدمته معابة أمام الله. وما يزيد من عمق الأزمة هو أن الكاهن، في غالبية الحالات، ليس في نفس الخندق مع

المطـران، إذ قـد يوصـيه المطـران بـأن يـذكر الأسـماء كمـا تَـرِده. لمـاذا قـد يـرفض الكـاهن أن يـذكر غـير الأرثوذكسيين؟ لأنه يقرأ في كتب خدمـة الكهنـة أنـه لا يُـذكَر غـير الأرثوذكسـيين. ولأن المنطـق يقتضـي أن لا يُذكَر مَن لا يُسمَح له بالمناولة.

إن تحديث كتب الخدمـة في أنطاكيـة يظهـر عمـق أثـر المسـكونية في ليتورجيـا الكنيسـة الأنطاكيـة. إن بعض الإسقاطات تساهم حكماً في الفلتان الليتورجي الذي تعيشه أنطاكيـة حيث تُعطى الملعقـة لكـل مَن يفتح فمـه. هذا الفلتان لن يضبطه كتاب من هنا وتحديث من هناك. تحـديث الكتب بهـذا الشـكل يـؤدّي إلى طمس التقليـد وليس إلى إحيائه.

يحاول بعض الكهنـة تـبرير ذكـرهم للجميـع بـالتزامهم المحبـة، وقليلـون منهم الـذين يعـترفون بـأنهم يخشـون التصادم مع أبناء رعيتهم حـتى على حسـاب التقليـد. في النهايـة، تكـون الدينونـة بحجم المسـؤولية لأن الـرب حاكم عادل.

يَرِد في كتاب "شرح القداس الإلهي" المـذكور اعلاه "لا يسـتطيع أن يشـترك في الحيـاة كـل مَن لم يشـترك في الحـق. لا يلِج إلى شـركة الـروح القـدس مَن لم يشـترك في اتحـاد الإيمـان. 'الحيـاة المشـتركة' – كـأس الحيـاة المشتركة يفترض قبلاً إيماناً مشتركاً... التقدمة المقدسة هي صورة عن عشاء الملكـوت. كـل مَن لم يرتـدِ لبـاس العرس، الذي يوهَب بالمعمودية، يُبعَد عن المكان حيث تتم خدمة سر الشـكر. ويبقى لاسـتقبال المسـيح أولئـك الذين يقيم فيهم الروح القدس – هؤلاء سيكونون الجلساء في عشاء عرس الملكوت وسـيفرحون بمعاينـة الله وبالاشتراك في الأسرار الإلهية" [ص. ١٥٥].

هنا قد يخرج أتباع نظرية المسيح النائم في كل البشرية أو المنـادون بـأن "الـروح يهب حيث يشـاء" ليـدافعوا عن المناولـة المشـتركة وعن ذكـر غـير الأرثوذكسـيين على التقدمـة. للـرد عليهم يكفي الاستشـهاد بِـ"الـدليل الرعـائي إلى الأسـرار" الصـادر عن بطريركيـة أنطاكيـة في ١٩٩٦، الـذي يشـرح بوضـوح: "إن القـرابين الإلهيـة المقدّسة في الكنائس الأرثوذكسية إنما هي للأرثوذكسـيين" [٥٥.١، ص. ٨٠] وأيضـاً "الوحـدة تتمّ بالاتفـاق أولاً في الإيمان، وتُتوّج آنذاك هذه الوحدة في الإيمان بالمشاركة في الأسرار، وخاصـةً سـر الشـكر، الـذي هـو نفسـه الوحدة الحقيقية بين المؤمنين وبين الرب يسوع. وهذا هو سـبيلنا إلى الاتحـاد بكـل مسـيحي مـؤمن، لأن سـر الشكر (المناولة) ليس وسيلة من أجل الوحدة بل هو الغاية ذاتها" [٥٥.٣، ص. ٨٢].

في سلسلة المخالفة هذه، الشعب هو الحلقة الأضعف. في غالب الأحيان هو لم يتعلّم. وفي حـالات غـير قليلـة، تعلّم ولكن همومه وارتباطاته الاجتماعيـة، بالإضـافة إلى تهـاون أئمتـه، تجعلـه يصـرف النظـر عن كونـه حـامي الإيمان ويكتفي بالممارسة الخارجية مكتفياً بالأصوات والألحان والتزيين، أما الجوهر فيتركه ليحكم الله فيه.